الجوانب الانفعالية وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي (الإيتوس- الباتوس - اللوغوس) نماذج ممثلة

دكتور

محمود أيوب الشناوي

أستاذ مساعد الفلسفة اليونانية

بكلية الآداب- جامعة كفر الشيخ

مقدمة

- في أهمية الجوانب الانفعالية في النسق الخطابي الأرسطي:

لا شك أننا إذا تتبعنا كتب أرسطو (٣٢٣ - ٣٨٤ ق.م) المنطقية، فإننا سنجد أن أرسطو قد أعتمد في ترتيبها على حقيقة معينة هي: بما أن موضوع المنطق البحث في أفعال العقل، وأفعال العقل ثلاثة: ١- التصور. ٢- الأقوال المؤلفة. ٣- الإستدلال، أي استنتاج الأحكام من الأقوال. فقد جاءت كتب أرسطو المنطقية موزعة كما في موضوعاته، فكان كتاب (قاطيغورياس) المقولات: يدور حول الأمور المتصورة في الأجناس العالية التي ينتهي إليها تجريد المحسوسات، وكتاب (باري أرمينياس) العبارة : في الأمور أو الأقوال المؤلفة، وكتاب (أنالوطيقا الأولى) في الاستدلال بالإجمال، أي من حيث صورته، ولما كان الإستدلال من حيث المادة إما برهانيًا صادرا عن مبادئ كلية يقينية ومؤديا للعلم، وإما جدليا مركبا عن مقدمات ظنية، وإما سفسطائيا مؤلفا من مقدمات كاذبة تحتوي على النتيجة احتواءاً ظاهرياً لا حقيقياً، نراه يضع ثلاث كتب أخرى وهي : (أنالوطيقا الثانيه) التحليلات الثانية أو البرهان، وكتاب (طوبيقا) الجدل، وكتاب (السفسطيقا) الأغاليط. يضاف إلى هذه الكتب المنطقية الستة كتابين فنيين هما كتاب (الريوطريقا) الخطابة: وهو القياس المفيد في ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم، وكتاب (الشعر) وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه ويستعمل في القضايا التخيلية. ومن هذا الكتاب قبل الأخير (الريوطريقا) الخطابة يدور هذا البحث، حيث أهتم أرسطو أيضا كسابقيه من فلاسفة اليونان بفن الخطابة [١] ، فقد علّم هذا الفن في الفترات الأولى في مدرسته على الطريقة الإيسوكراتية[٢] وكان يجعل تلاميذه يلقون أحاديث في طريقة خطابية، حيث كتب أرسطو ثلاثة أعمال هامة في الخطابة: الأول يسمى Gryllus وهو عبارة عن محاورة تلقى أمام ابن أكسينوفون Xenafon والغرض منها القراءة العامة. والثاني بحثه Theodekteia وهو بحث عن الخطابة كتبه لتلميذه ثيودكتوس Theodektos ويهتم بصفة رئيسية بموضوعات الأسلوب والتأليف والتنظيم، أما الكتاب الذي أولى أهمية بهذا الفن فهو كتاب (الخطابة)، الذي يعد بحثا في القواعد العملية المستخدمة في الخطابة اليونانية القديمة، إضافة لكونه دراسة نظرية لهذا الفن [٣]. ويؤكد "بول ريكور" على ذلك، بأن صناعة الخطابة عند أرسطو، إنطلاقاً من كتابه (الخطابة)، تغطي ثلاثة حقول: نظرية للحجاج تكون قطبها الرئيسي وتزودها في الآن نفسه بمفصل علاقتها بالمنطق البرهاني والفلسفة (وتغطي نظرية الحجاج هاته لوحدها ثلثي مصنفه الخطابة وقد ربطها بالجدل) ونظرية في العبارة، ونظرية في تركيب الخطاب[٤]. يضاف

إلى ذلك أن أرسطو قد حاول فيه، أن يعين للخطابة سنداً علمياً يجعلها قابلة للتعليم كما يجعلها جنساً جديراً بالتحليل العلمي، بل حاول أن يلتمس فيها ذلك المكون الثابت والمتكرر الذي يجعلها طيعة أمام التحليل العلمي الموضوعي، كما أنه كان يسعى إلى إخضاعها لنفس قواعد المنطق الصوري ولنفس قواعد الجدل أو الطوبيقا، وهي القواعد والملامح التي تكسب الخطاب صفة الموضوعية والبعد عن شوائب النزوات العاطفية والذاتيه المتلونة. لهذا فلا عجب أن تعتبر نظرية الخطابة الأرسطية، بحق، صرحا نظرياً ظل النسق النظري المتكامل الوحيد الذي عرفته الخطابة عبر التاريخ [إذ نشأ هذا الفن كما بينا في بحث سابق، كفن وصياغة أدبية في صقلية قبل أرسطو بحوالي مائة وخمسون عامًا تقريبًا، وتظهر عبقريته في أنه جمع التنظيرات السابقة عليه لهذا الفن وأضاف لها وصاغها صياغة علمية] حيث سعى من خلالها إلى بيان وظيفتها الأخلاقية التي تدافع عن قيم الحق والعدل ضد كل من يستغل المؤسسات الديموقراطية لأغراض منافية لها، وليس ذلك فحسب، بل والكشف عن وسائل الإقناع الكامنة في كل موضوع، وليس الإقناع ذاته، وهو بذلك يعطيها طابعًا نظريًا، يضاف بل يسمو بها عن الطابع التجريبي الذي وسم المحاولات السابقة عليه. فإذا كانت كل صناعة، على حد تعبير أرسطو "أهلا للتعليم والإقناع في مجالها الخاص (مثلا الطب في حالات الصحة والمرض، والهندسة في الخاصيات المميزة للمقادير، والحساب في الأعداد، وعلى النمط ذاته الصناعات والعلوم الأخرى)، فإن الخطابة من جانبها تبدو قادرة بشكل من الأشكال على كشف المقنع في كل ماهو معطى، بذلك نحن نؤكد أيضًا أن بعدها التقني ليس مقصورًا على جنس مخصوص بها"[٥]. لإن المرء، حتى ولو كان يمتلك العلم الأكثر دقة، فإنه لن يستطيع بواسطته (أي بواسطة خطاب يثبت الحقيقة ويستهدفها) إقناع عدد من الناس بسهولة "فالخطاب العلمي ينتمي إلى التعليم"[٦]. وبتعبير أوليفي روبول: "الخطاب الخاضع للمتطلبات العلمية لا يمكن أن يستعمل إلا في مدرسة، أو في مؤسسة تعليمية خاصة لها مناهجها وأساتذتها وبرامجها المتدرجة.. إلخ، والحال انه ليس الأمر كذلك حين نتكلم أمام محكمة أو الساحة العمومية، حيث لا يملك المرء حتى الوقت لعرض الأمور علمياً [٧].

من هنا لا يمكن إستعماله في مجال الخطابة "حيث ينبغي للخطابات ووسائل الإقناع أن تعتمد على الأراء المشتركة بين الناس". لأن البرهنة العلمية الكاملة مستحيلة في بعض المواضع وبعض المسائل، بل في تلك التي تهم الناس أكثر، ولنفرض أنها ممكنة، فهي متعذرة على السواد الأعظم الذي ينبغي مع ذلك تنويره، مادام أنه هو الذي يقرر ويفعل ولن نستطيع ذلك إلا بالإستعانة بصناعة تعتمد على مبادئ مشتركة بين

جميع الناس وسهلة المنال لكل العقول تنطلق مما هو مقبول لديهم، ألا وهي الخطابة، لذلك فقد كان تأكيد أرسطو على أن الموضوعات التي تتناولها الخطابة هي الموضوعات التي تعرض أمام جمع غير قادر على الاستدلال السريع المتصل الحلقات، فكل مسألة قابلة لحلين أو أكثر، قابلة للمناقشة ويكون مجالها الخطابة. أما الأمور التي لا يمكن أن تكون على غير ما هي عليه فمناقشتها لا تجدي. لكن قد يقول قائل بعد الذي قدمنا.... إذا كانت الخطابة هي فن المقانعة، أليس من الممكن أيضا أن تكون فن الخداع أو على الأقل التغرير أو التضليل؟ كيف للخطابة أن تكشف عن وسائل الإقناع في أي موضوع كان؟ وهل الخطيب يعرف كل شيئ!! أم أن لديه الموهبة في الدفع إلى الاعتقاد حتى فيما يجهله؟ أم أن وسائل الإقناع هي التي تحدد وظائفها أو الخدمات التي يمكن أن تسديها لأولئك الذين يستخدمونها، وربما للأخرين ايضا؟؟ هل نجد إجابات واضحة شافية إزاء هذه الأسئلة لدى أرسطو في نظريته لخطابة؟ أو بالأحرى كما يحلو لجمهرة الباحثين في نسقه الخطابي؟ هذه الأسئلة تقودنا إلى السؤال الرئيسي: وهو كيف تتدخل إنفعالاتنا في تفكيرنا، أو في خطابنا المكتوب أو الملقى؟ وما هي تلك الجوانب الإنفعالية التي أولاها أرسطو عنايته في بحثه لصناعة خطابة؟ وهل يمكن الحديث عن الجوانب الإنفعالية دون الحديث عن الجوانب لموضوعية المكونة لها؟؟ وهل تلك الجوانب مرتبطة بالنسق الخطابي الأرسطي ككل؟؟ هذه الأسئلة وإجاباتها هي ما تمثل موضوع بحثنا هذا **والذي ترجع أهميته إلى:**

* أن هناك من الباحثين الغربيين، من تناول وظائف الخطابة سواء الإقناعية أو التأويلية أو الكشفية، وحتى التربوية من خلال بحث نظرية الخطابة عند أرسطو، إلا أنهم أغفلوا جانبًا هامًا من نظريته، وهو الجانب الإنفعالي، وحتى من أشار إليه فإنه وضع كل همه إزاء خطابة التصويرات الاسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، كما اختزل لبعض الخطابة في البلاغة (الأسلوب والإلقاء) فأضاع ماهيتها متناسيًا أن الخطابة الحقيقية هي التي تؤلف بين الحجاج والأسلوب لأداء وظيفة واحدة، هي وظيفة الإقناع، إذ أن أجزاء النسق الخطابي أربعة: إبداع وترتيب وبلاغة وإلقاء (والإبداع يتعلق بالحجة أي الإقناع) و(البلاغة والإلقاء فهما يتعلقان بالأسلوب) و (الترتيب هو الرابط بين الإبداع والبلاغة والإلقاء. أي بين الحجاج والأسلوب).

* كما تناسى البعض الآخر أن أرسطو قد منح "الإقناع" (الحجج والأدلة) المرتبة الأولى، والأسلوب المرتبة الثانية، لأن دور الأسلوب دور مساعد معين على الإقناع. إذ يقول:

لقد درسنا بدية حسب المجرى الطبيعي، ما يرد أولا، أعني ما تتضمنه الأشياء في ذاتها مما هو معد للإقناع، وترد ثانيًا البلاغة التي تُرتِب وتنظم هذه الأشياء نفسها"[٨].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالخطيب الذي ينشد الإقناع عليه معرفة شيئين مختلفين:

أحدهما يمكن أن يتغير باستمرار، هو الموضوع الذي ينوي معالجته، وثانيهما لا يتغير أبدا هو "النفس الإنسانية" التي يجدها حيثما خاطب الناس.

* من هذا المنطلق فإن "الهدف الخاص"من هذا البحث يكمن في الكشف عن الجزء الهام الذي تعرض للإهمال، وهو ذلك المتعلق بالنفس أي بالجوانب الإنفعالية أو "الباتوسية" في العمليات الإقناعية أو الحجاجية من نظرية أرسطو الخطابية أو من نسقه الخطابي، والتي من خلالها نستطيع التأكيد على أن الخطابة هي المقانعة الحقيقية للخديعة كما أن الجدل هو القياس الحقيقي للسفسطة.

* أما "الهدف العام" فهو أن دراسة النسق الخطابي الأرسطي مطلب هام وضروري، إذ أن أي طموح لتجديد الخطاب العربي في شقه الإجتماعي أو الثقافي أو السياسي أو حتى الديني "الوعظ والإرشاد" لا بد وأن يمر عبر دراسة هذه الخطابة والاستيعاب لعميق لمختلف قضاياها النظرية والإحاطة بالنسق النظري الذي وضعها له أرسطو وخاصة الجانب الإنفعالي في العمليات الإقناعية أو الحجاجية والمتضمن في (الإيتوس– والباتوس – واللوغوس).

– موضوعات هذا البحث ومنهجنا في معالجته:

يشتمل هذا البحث على مبحثين رئيسيين: **فأما المبحث الأول:** فعنوانه (البناء الذهني للمفاهيم الموضوعية والانفعالية في النسق الخطابي الأرسطي). وقد عرضت فيه أولاً /

للبنية الذهنية للمفاهيم الموضوعية، والمتمثلة في "الإقناع" و"الضمائر" و"المثال" –

ولهذه المفاهيم أهميتها في النسق الخطابي الأرسطي لأنها تمثل القواعد والمبادئ التي قام عليها هذا النسق، وبدون عرضها يصبح الحديث عن المفاهيم الانفعالية مبتورًا، والذي عرضت له ثانيًا / فتناولت البنية الذهنية لتلك المفاهيم الانفعالية والمتمثلة في "الإيتوس" و"الباتوس" و"اللوغوس".

لتؤتي محصلة هذه المفاهيم أكلها في **المبحث الثاني** والذي جاء عنوانه (ارتباط الجوانب الانفعالية بالنسق الخطابي الأرسطي)، حيث عرضت فيه أولا/ للإبداع ووسائل الإقناع والذي تضمن أجناس الخطابة وغاية كل منها وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي، وكذلك لأنواع الحجج المستخدمة في الأجناس الخطابية ثم

صلة ذلك بوسائل الإقناع الانفعالية "الإيتوس والباتوس" ثم المواضع وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي، وعرضت ثانيًا/ للأسلوب والإلقاء والترتيب وارتباطهم بالنسق الخطابي الأرسطي.

وكانت معالجتي المنهجية لهذه الموضوعات في إطار تحليلي مقارن. ذلك أن نزعة أرسطو العلمية قائمة على التحليل [٩]، ذلك التحليل الذي أعتبر الخطابة صناعة، وجعلها جزءًا مرتبطا لفهم النظام الفلسفي فهي مثل أي صناعة ذات فن أصيل تنجح في الإقناع بالحقيقة التي تعبر عنها، والحقيقة الفنية وليست نقلا حرفيًا للواقع ولكنها نوع من التفسير والخلق الذي يكسبها نظامًا ومعقولية وهذا ما ساعدنا على استخلاص بعض النتائج الهامة والتي سنوردها في خاتمة البحث، أما عن مصادر البحث: فقد كانت مؤلفات أرسطو وخاصة كتابه (الخطابة) هي المصدر الرئيسي الذي أعتمدت عليه في سبر أغوار نسقه الخطابي، كذلك بعض روايات المؤرخين الأقدمين، إضافه لما قدمه اهل العلم المعاصرين الموثوق فيهم من تفسيرات وشروحات تتعلق بالنسق الخطابي الأرسطي، وكان الأخذ عن هذه المصادر والمراجع هو الإقتباس.

المبحث الأول:

البناء الذهنى للمفاهيم الموضوعية والانفعالية فى النسق الخطابي الأرسطى

هذا المبحث يستهدف غرضًا عمليًا بصفة أساسية، فهو يعنى ببحث البنية الذهنية أو التصويرية لبعض المفاهيم الرئيسية التي تمثل مرتكزات أنطلق من خلالها أرسطو في تشييد نسقه الخطابي، وهي في الآن نفسه تمثل مبادئ، إذ أن فن الإقناع يتغذى وينمو بواسطة الإلمام بهذه المفاهيم، أو المبادئ المنطقية التي وضعها أرسطو في كتابه الخطابة.

فإذا استطعنا أن نفهم مايتعين علينا أن نؤمن به من هذه المفاهيم لأنه معقول ومنصف، وما يخلع علينا صفة عدم الإنصاف والصواب إذ آمنا به – فعندئذ يصبح لدينا وعي كامل بمفهوم الخطابة نفسها عند أرسطو، وبأهميتها وكيف أنها أصبحت على يديه صناعة، كذلك بما يكون من المعقول أن نخشاه ونخافه منها، وما يكون من غير المعقول وعدم الإنصاف أن نولي منه فرارا ونمتلئ منه رعبا، لذا وجب علينا منذ البداية أن نميز بين ما هو موضوعي وبين ما هو ذاتي أو إنفعالي من تلك المفاهيم الرئيسية التي تميز النسق الخطابي الأرسطي، وسوف نبدأ بعرض المفاهيم الموضوعية، لأن مرتكزات المفاهيم الانفعالية قائمه عليها.

أولا: البنية الذهنية للمفاهيم الموضوعية (الإقناع – الضمائر – المثال) في النسق الخطابي الأرسطي.

(١) مفهوم الإقناع في النسق الخطابي الأرسطي.

حد أرسطو الخطابة بأنها "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان، وتلك المهمة ليست من شأن أي فن آخر. (١٠).

وهنا وجب أن نتسآل ما هو معنى "الإقناع" الذي ساقه أرسطو في تعريفه هذا للخطابة؟ وجوابنا لن يخرج عن المعنى الاشتقاقي العربي أو المفهوم الغربي في النقطتين التاليتين: **المعنى الاشتقاقي العربي للإقناع والمقانعة..**

لقد بحثنا عن معنى كلمة "الإقناع" أو "إقناع" في معاجم اللغة العربية، فلم نجدها واردة فيها، الأمر الذي دعانا لنبحث في اشتقاقاتها اللغوية فوجدنا على سبيل المثال:

"ورجل قانع وقنع والقناعة. الرضى، كالقنع، محركه، والقنعان بالضم، الفعل كفرح، فهو قنع وقانع وقنوع، وشاهد مقنع، وقنعان بالضم، ويستوي في الأخيرة المذكر والمؤنث والواحد والجمع، أي رضى يقنع به أو

بحكمه أو بشهادته..."[١١] ومن جهة ثانية "الإقناع" مصدر من الفعل "أقنع" على وزن "أفعل" الذي يفيد التعدية والتصيير والجعل والنقل من حالة إلى أخرى نقلًا إكراهيًا ملزمًا، فيكون الفعل من طرف دون الآخر، ومعلوم أن الإقناع العقلي ملزم لما أنه مقبول عند الجميع غير منكر، أمره أن يجعل المرء ضرورة يعتقد في الذي نسوقه له. أما "المقانعة" فمصدر من الفعل "قانع" على وزن "فاعل" الذي يفيد معنى المفاعلة والمشاركة، ويدل على أن أحد الطرفين فاعل صراحة ويدل على أن الثاني فاعل ضمنًا، فيكون الفعل من الطرفين معًا، ليس يحصل بفعل المقانع وحده، بل إنه بمشاركة المقانع القابل فعل المقانعة يحصل، لما أن المقانعة غير ملزمة وغير مقبولة ضرورة عند الجميع، بل إنما تخص واحدًا واحدًا، ليس ينتج عن إعتقاده إعتقاد غيره[١٢]. ولما كان المرء إنما يحصل على الإعتقاد في أمر بمخاطبة عقله وقلبه، وكان هذان فيه كلًا واحدًا ليس يفترقان، إذ في الافتراق فسادهما معا، لذا فالفعلين أشتقا من الفعل نفسه "قنع"، هما "أقنع" و"قانع" إفادة أن الإنسان واحد يعقل بقلب ويفقه قلبه بعقل"، وأن "الإقناع" الذي للعقل و"المقانعة" التي للقلب يستلزم الواحد منهما الآخر، وإن كانت الرياسة لأحدهما دون الآخر [١٣].

وهكذا فالإقناع العقلي ملزم دون قبول الغير، والمقانعة القلبية غير ملزمة شرطها موافقة لغير. وفي هذا يقول ابن سينا: "والغرض المقصود في هذه الصناعة هو الإقناع والإلزام، وكان صاحب هذه الصناعة أرسطو نفسه قد أعمل لفظ الإقناع في كتاب (المواضع) أو (الجدل)، فاعلم إذًا أن الإقناع مرتبط هو بالعقل الارتباط أشده"[١٤].

نخلص من هذا إلى أن "الإقناع" بما هو فعل عقلي لا يغيب القلب بل أنه يستلزمه، وأن "المقانعة" بما هي فعل قلبي لا تقصي العقل، بل تستفرضه، لأنهما كلمتان مشتقتان من الفعل " قنع".

ب- المفهوم الغربي للإقناع والمقانعة:

ذهب "بليز بسكال" في كتابه "فن المقانعة" إلى أن مفهوم "المقانعه" "persuasion"، إنما يتضمن الفعل القلبي، بينما مفهوم "الإقناع" "conviction" يتضمن الفعل العقلي، وأن "المقانعة "'persuasion" كلمة لاتينية مكونة من مقطعين من البادئة 'per"، ومن سوادا "suada"وهي "ربة المقانعة" في الأساطير الرومانية، لاسيما في القصائد العاطفية والأغواء والحب، أما إسمهما اليوناني فهو "البيتو" "peitho"، ومن هنا نفهم أن فكرة "المقانعة" هي المتعلقة بالقلبي، أي بالإرادة والانفعالات والاهواء. اما "الإقناع " " conviction" فهو أيضًا كلمة لاتينية مكونة من مقطعين: من البادئة "con"، ومن "vinco" وتعني الغلبة،

ولما كان الإقناع مرتبطا بالجدل، فليس تحصل غلبة إلا بحجة ملزمة، وليس يكون إلزام إلا بما هو عقلي، اما الانفعالي العاطفي أي القلبي، فلا يستفرض إلزامًا لما أنه متغير متقلب، ليس من شخص لأخر فحسب بل في الشخص الواحد في زمنين مختلفين [١٥].

وهذا ما كان أرسطو منتبها اليه جيدا حينما ربط بين الخطابة والجدل من خلال علاقة " التناسب " "Antistrophos" في إفتتاحه لكتابه "الخطابة" بقوله "الخطابة تناسب الجدل"[١٦] وقد بين" بيير شيرون" هذا التناسب بقوله: أن العلاقة بين الخطابة والجدل هي في الجوهر علاقة تناسب: فالجدل يشكل بالنسبة للمحادثة العادية ما تشكله الخطابة بالنسبه لكلمة عادية تلقى أمام جماعة [١٧].

وهذا يعني أن أرسطو رفع الخطابة إلى مستوى الصناعة (عكس أفلاطون الذي جعلها تناسب الطبخ) ونازلًا بالجدل من مستوى العلم (كما عند افلاطون) ليصبح مجرد صناعة، وهو بذلك يضعها في نفس المستوى[١٨] ولتأكيد ذلك قدم أوجه الشبه بينهما وهو : "أنهما قدرتان مشتركتان بين جميع الناس وليسا مقصوران على علم خاص، فكل الناس يمارسونهما بهذا القدر أو ذاك، لأن الناس جميعًا يتعاطون إلى حد ما، سواء لانتقاد حجة أو دعمها أو لممارسة الدفاع والإتهام... ومادام كل الناس يمارسونهما إما تلقائيًا، وإما بحسب عادة ناشئة عن استعداد مكتسب، فمن الواضح أنه يمكن أن نباشرهما بشكل منهجي، لأن السبب الذي يمكن من تحقيق الهدف سواء بالعادة أو بفعل الصدفة من الممكن الكشف عنه وسيجمع كل الناس إذن على أن دراسة من هذا لنوع هي مهمة صناعة"[١٩].

ج- ارتباط الجدل بالخطابة يحد مفهوم الإقناع لدى أرسطو :

مما سبق يتضح لنا أن التصور الأرسطي للخطابة يقوم منذ البداية على الربط بينها وبين الجدل، من خلال الفهم الواعي لدور الإقناع الذي يأتي من خلال القدرة على استخدام الجدل بطريقة منطقية، فالجدل على هذا الأساس له صلة وطيدة بفن الخطابة ويكاد يكون أخًا لها، وكلاهما يعني بأمور يمكن معرفتها دون اللجوء إلى علم بعينه لأنها أمور يمارسها كل الناس ويعرفونها، فمهمة الخطابة هو التمييز بين ما هو محتمل، وبين ما ليس له إلا مظاهر الاحتمال، وكذلك الأمر في الجدل فإن مهمته التمييز بين القياس وبين مايبدو على شكل قياس، وفي هذه الحالة يكون الإنسان خطيبًا بالعلم وجدليا بالقدرة والملكة. ويؤكد أرسطو: "أنه إذا كانت غاية الإقناع بالخطبة نفسها تدرك حينما ندلل فيها على الحق أو على ما يشبه أن يكون حقًا تدليلا تفصيليًا معتمدًا على وقائع ثابتة، فإن دليل الحقيقة الذي هو أهم العناصر من حالات الإقناع، يقوم على عدد من

المناقشات المقنعة مع مجموعة من العمليات المنطقية للإستنتاج والإستقراء في أشكال أتخذت بصفة للعامة من المستمعين وأمثلتها الأقيسة الخطابية، وأمثلة الاستقراء الخطابي "[٢٠] .كذلك من أوجه الشبه بين الخطابة والجدل غير استعمالهما لنفس وسائل الاستدلال السابقة، أن كلاهما قادر على الإستدلال على النتيجة ونقيضها، كما أنهما قادرتان على إنتاج الحجج [٢١]. هذا عن مفهوم الإقناع عند أرسطو وعلاقته بالخطابة والجدل وأوجه الشبه بينهما والتي سطرها أرسطو في الفصلين الأول والثاني من المقالة الأولى لكتابه "الخطابة"، وجميعها تتعلق بكونهما صناعتين تقومان على الاستدلال، فالأولى تمارس الاستدلال بغاية إقناع جمع من الناس في ساحة عمومية، والثانية تمارسه بغاية تفنيد خصم في إطار محاورة ثنائية، لأنه قد بان لنا أن مقصد الإقناع، إنما هو العقل أو لنقل الفاهمة والذهن الذي يستند إلى سند راسخ، وغير قابل للنقاش، ومن حدس بدهي يضمن حقيقة مايدرك بوصفه بديهيا. والبداهة مدركة بهذا الشكل ليست حالة ذاتية يمكن أن تختلف من وقت إلى آخر ومن شخص إلى آخر" إن دورها في الواقع أن تقيم جسرًا بين ماهو مدرك بإعتباره بديهيًا من قبل الذات العارفة وبين حقيقة القضية البدهية التي ينبغي أن تفرض نفسها بالطريقة ذاتها على أي كائن ذي عقل "[٢٢]. إن الحجاج لا يستطيع أن يزود بالبداهة أبدًا، وليس من مطروح أن نحاجج ضد ما هو بديهي، ومن يتمسك بالبداهة يكون متأكد من أنها ستفرض نفسها بالبداهة عينها على كل محاوريه، فالحجاج أو الإقناع لا يمكن أن يتدخل إلا إذا كانت البداهة موضع جدال وهذا ما لاحظه أرسطو من قبل، فهو يقر بأنه لا غنى عن اللجوء إلى الاستدلالات الجدلية حين تكون المبادئ الأولى لعلم ما، والتي تفرض نفسها بنفسها في العادة هي المجادل فيها [٢٣]، وكذلك الأمر حين نناقش تعريفًا ما. وإذا كانت المفاهيم البسيطة والمبادئ الأولى لعلم تجريدي إنما تدرك عادة بفضل الحدس، فإن أرسطو يقر أن المباحث العملية: كالأخلاق والسياسة حيث لا مفر من الاختيارات والخلافات، هي التي يفرض فيها الحجاج نفسه سواء تعلق الأمر بمداولة مع النفس أو بنقاش عمومي. لهذا يتضمن الأورغانون إلى جانب كتابي التحليلات التي ترتبط بالاستدلالات الصورية، كتاب الجدل الذي يبحث في الاستدلالات الجدلية التي تمكن من تبرير الرأي الأفضل والرأي الحصيف.

(٢) مفهوم الضمائر (القياس الخطابي) في النسق الخطابي الأرسطي:

أ- الضمائر عمود التصديق في النسق الخطابي الارسطي.

ناقش أرسطو موضوع الخطابة فيما ألفه السابقين عليه، وانتهى إلى أن كل مصنفي لخطابة لم يعالجوا سوى مسائل خارج الموضوع حين يتحدثون عما ينبغي أن تتضمنه أجزاء الخطبة، لأن التصديقات كما يقول أرسطو هي "الأمور الوحيدة الداخلة في مجال الصناعة، وما عداها مجرد زوائد. والحال أنهم لا يذكرون شيئًا عن الضمائر "وهي عمود التصديق، بل أنصب جهدهم على ما يتعلق بإثارة الأهواء، وهي لا شأن لها بالقضية المطروحة وإنما تتوجه إلى القاضي إلى درجة أنه لو طبق عليهم ما يمارس في بعض المدن الأكثر تحضرًا من منع الكلام خارج القضية المطروحة لما بقا لهم ما يقولونه"[٢٤]. والسؤال الآن: ما هو مفهوم "الضمائر" التي هي عمود التصديق عند أرسطو؟ ذهب عبد الرحمن بدوي في مقدمة ترجمته لكتاب "الخطابة" إلى أن مفهوم "الضمائر " يتضمن الآتي: والضمائر "Enthymemes" هي عصب الحجاج في لخطابة والمقصود بالضمائر الأقيسة المنطقية التي أضمرنا بعض مقدماتها، ودعا إلى هذا "الإضمار" أسباب عديدة تتعلق بالتأثير الخطابي منها:

أ. استعمال الحكم القصيرة النافذة التأثير في السامعين.

ب. إخفاء ضعف حجة الخطيب بعدم بيان المقدمات تفصيلا. [٢٥]

ب- الضمائر قضايا شبيهة بالحقيقة أو من علامات لدى أرسطو.

إن السمة المميزة للضمير عند أرسطو هي أنه "قياس مكون من قضايا شبيهة بالحقيقة أو من علامات، ويوضح لنا أرسطو مقصده هذا في كتاب"التحليلات الأولى" بواسطة المثال التالي:" الناس يكرهون من يحسدهم، ويحبون من يحبهم" فالشبيه بالحقيقه هو ما يقع أو لا يقع، يكون أو لا يكون في أغلب الحالات "[٢٦]، وذلك في مجال المحتمل، فالناس يبادلون الكراهية بالكراهية والود بالود في العادة وفي أغلب الحالات، لكن رد الفعل هذا لا يكون دائمًا، فقد يحدث ألا يكره أحدا من يحسده ولا يحب من يحبه.

ويستعمل الشبيه بالحقيقة في إطار علاقة الكلي بالجزئي، أي أن يستخلص أمر خاص شبيه بالحقيقة من شبيه بالحقيقه كلي، كأن نقول مثلًا كل الأبناء يحبون آباءهم، وزيد يحب أمه. أما العلامة فيعرفها أرسطو بأنها الشيئ الذي يؤدي وجوده إلى وجود شيئ آخر، إما سابقًا أو لاحقًا. هذا ما يسمى علامة تبين أن الشيئ الآخر وقع أو أنه موجود [٢٧]. فالعلامة إذن هي مؤشر أو قرينة أو إمارة تؤكد وجود شيئ ما أو حدوثه، إما

بشكل سابق لهذا الشيئ، وإما بشكل لاحق، وعلى عكس الشبيه بالحقيقة يمارس الاستدلال بالعلامة إما من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص، كما أنه قد يكون ضروريًا أو غير ضروريًا سواء أستخلص من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص، ويوضح أرسطو ذلك بعدة امثلة "فمن العلامات التي تنطلق من الخاص إلى العام أن نقول أن العلامة على أن الحكماء عادلون أن سقراط كان حكيمًا وعادلًا، وهذه العلامة غير ضرورية وقابلة للتقنيد رغم صدقها، لكن إذا قلنا أن العلامة على أن فلان مريض أنه محموم، أو أن فلانة وضعت لأنها ترضع، فإننا نقدم علامة ضرورية غير قابلة للتفنيد إذا كانت واقعة بالفعل". أما العلامات التي تنطلق من العام إلى الخاص فيقدم لها أرسطو المثال التالي "العلامة على أن فلانًا محموم أن تنفسه متقطع "وهي قابلة للتفنيد ولو كان مضمونها صادقًا لأنه من الممكن أن يلهث المرء دون أن يكون محموماً [٢٨].

ج- الفرق بين القياس الجدلي والخطابي يحد مفهوم الضمائر لدى أرسطو:

إن التصديق نوع من البرهان لأننا نكون أكثر "إقتناعا" كلما افترضنا أن أمرًا ما قد بُرهِنَ عليه، وأن البرهان الخطابي هو ضمير، والضمير نوع من القياس على حد تعبير أرسطو «ولما كانت مهمة الجدل ككل، أو أحد أجزائه، النظر في كل نوع من الأقيسة على نحو مماثل، فمن الواضح أن الأقدر على فحص مادة القياس وأشكاله سيكون هو الأقدر على الحجاج الخطابي، لو أنه أضاف إلى ذلك معرفة بالموضوعات التي تتناولها الضمائر والفوارق بينها وبين الأقيسة المنطقية»[٢٩]. **هذه الفروق سنجدها واضحة من خلال إشارة أرسطو لها في كتابه "الخطابة"، وكتاب "الجدل" وكذلك كتابه "التحليلات الأولى". والتي يمكن لنا إيجازها في الثلاث نقاط الآتية:**

* **القياس الجدلي** يتكون من قضايا مرتبطة بالراجح من الآراء، هذا الرجحان يعرفه أرسطو في كتاب الجدل بقوله: «الآراء الراجحة هي تلك المقبولة من قبل جميع الناس، أو أغلبهم، أو من قبل الحكماء، ومن بين هؤلاء، إما من قبلهم جميعاً أو جلهم أو أخيراً الأكثر وجاهة وشهرة منهم»[٣٠]، أما القياس الخطابي كما بينًا، فيتكون من قضايا شبيهة بالحقيقة أو من علامات. لكن مع ذلك يمكن أن يستعملا كلا من الراجح والشبيه بالحقيقة في الجدل والخطابة، فالجدلي يمكن أن يستعمل الشبيه بالحقيقة لأن القضية الشبيهة بالحقيقة قضية تنتمي إلى الراجح من الآراء ما دامت توافق الرأي المشترك بين الناس، ومن جهة أخرى يمكن للخطيب أن يستند على الآراء الراجحة، وهو ما ذهب إليه أرسطو في كتابه "الخطابة" بقوله : "هناك موضع آخر يؤخذ

من حكم سابق في نفس الحالة أو في حالة مماثلة أو مضادة لها، خصوصًا إذا صدر عن كل الناس وفي كل الظروف أو عن أغلبهم أو عن الحكماء على الأقل، إما كلهم أو جلهم، أو عن الأخيار من الناس أو عن القضاة أنفسهم، أو عن أشخاص يقبل القضاة تحكيمهم أو من المستحيل معارضتهم بحكم مضاد مثل الحكام أو من لا تليق معارضتهم بقرارات مضادة كالآلهة والأب والذين علمونا"(٣١).

* **الفرق الثاني** بين القياس والضمير أن الجدلي عليه أن يخفي عن المجيب النتيجة التي يريد أن يسوقه إليها، في حين أن الخطيب عليه أن يقرب النتائج من المقدمات ما امكن، لأن السامعين يعجزون عن إستيعاب عدة أفكار في نفس الوقت، وعن متابعة لسلسة طويلة من الإستدلالات (٣٢).

* **والفرق الثالث** هو أن النزاع الجدلي يتطلب من ممارسه تقديم قضايا واضحة بديهية لكي يبرز بقية الحجاج، كما في الخطابة فينبغي عدم ذكر ما هو معروف عند المستمع، لأن ذلك سيكون من من قبيل الحشو، بما أننا سنقول أشياء بديهية، بل ثرثرة. لذلك ينبغي حذف ما يستطيع السامعون إتمامه بأنفسهم (٣٣).

هذا عن الوسيلة الأولى من وسائل الإستدلال الخطابية والتي حددها أرسطو بقوله "وتبعا لذلك فإنني أسمى ضميرًا: القياس الخطابي، وأسمى المثل إستقراءً خطابيا، وكل الخطباء ينتجون الإعتقاد بإستخدام الأمثلة أو الضمائر، ولا شيء غيرهما كحجج..... والخطباء أنفسهم يمكن أن يتميزوا بولعهم بهذا النوع أو ذاك الآخر. والحجج القائمة على الأمثلة يقصد بها أيضاً الإقناع، أما تلك التي تقوم على الضمائر فتلقى إستحساناً أكبر ..... وكل الناس يقدمون الدليل على قول ما إما بواسطة أمثلة أو بواسطة ضمائر، وليس هناك شيء خارجهما"(٣٤).

(٣) مفهوم المثال (الإستقراء الخطابي):

إن الوسائل التي تناسب العقل هي الحجج، والحجج من صنفين: تلك التي ترجع إلى القياس الخطابي "الضمائر"، وتلك التي تقوم على المثل، وسماها أرسطو (إستقراء خطابي) كما سبقت الإشارة، والحال أن المثال كما سنرى عند أرسطو، إنفعالي أكثر من القياس، إذا يتوجه إلى جمهور عريض، بينما يستهدف القياس الخطابي، سامعًا متخصصًا مثل المحكمة، لكن ما معنى "المثال" وما هو مفهومه عند أرسطو؟

أ- المعنى اللغوي والإصطلاحي للمثال.

عرف "الجرجاني" المثال بأنه: ما يذكر لإيضاح القاعدة بتمام إشارتها (٣٥) ومثال Example يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد وهو أعم من الشاهد وهو الجزئي الذي

يستشهد به في إثبات القاعدة ويجب أن يكون نصاً من النصوص[٣٦]، ويناظر كلمة "مثل" "Example". لفظ (تمثيل Analogy) ، ويعني إثبات حكم واحد في جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما، والفقهاء يسمونة قياسًا، والجزئي الأول فرعاً، والثاني أصلاً، والمشترك علة وجامعاً وكما يقال: العالم مؤلف فهو حادث كالبيت، يعني البيت حادث لأنه مؤلف، وهذه العلة موجودة في العالم فيكون حادثًا .... وأيضًا هو الحكم على شيء معين لوجود ذلك لحكم في شيء آخر معين أو أشياء آخر معينة على أن ذلك الحكم كلي على المعنى المتشابه فيه، فيكون المحكوم عليه هو المطلوب، والمنقول منه الحكم هو المثال. ومثاله: أن العالم حدث لأنه جسم مؤلف فيشابه البناء والبناء محدث فالعالم محدث فها هنا عالم وبناء وجسمية ومحدث [٣٧].

ب- المثال وأقسامه لدى أرسطو :

لا يخرج مفهوم "المثال" عند أرسطو عما سبق فهو استدلال يبقى في إطار علاقة الجزئي بالجزئي أو الخاص بالخاص، أي أننا نستخلص شيئاً متعلقاً بحالة خاصة إنطلاقاً من حالة خاصة أخرى من نفس جنسها، لكنها أشهر في الأولى، ويوضح أرسطو ذلك بقوله: "وهو ليس علاقة جزء إلى كل، ولا كل إلى جزء، ولا كل إلى كل، بل علاقة جزء إلى جزء، شبيه إلى شبيه، حين يندرجان تحت جنس واحد، ولكن أحدهما معروف أكثر من الآخر".[٣٨] ويقسم أرسطو المثال إلى قسمين: تاريخي أو واقعي ومبتكر .

* **المثال التاريخي:** ويقوم على استلهام حل القضايا المطروحة من أحداث ماضية أو تأكيد وجهة النظر المدافع عنها إنطلاقاً من تجارب سابقة، ويسوق لنا أرسطو نموذجًا عن المثال التاريخي قائلًا: "فمثلا لإثبات أن "ديونوسيوس" يريغ إلى الطغيان، لأنه طلب حرسًا خاصاً له، فيمكن أن نقول أن "بايستراتوس" قبله "وثياجنيس الميغاري" فعلا مثل ذلك، وحينما حصلا على ما طلباه، جعلا نفسيهما طاغيتين. فكل الطغاه الاخرين يصلحون مثلا على "ديونوسيوس"، وإن كنا لا نعرف مع ذلك السبب في طلبه حرساً خاصاً به. وكل هذه الأمثلة تندرج تحت نفس القضية الكلية وهي أن من يرغ (كذا) إلى الطغيان يطلب حرساً خاصًا. [٣٩]

* **المثال المبتكر:** فيقسمة أرسطو إلى قسمين: يسمى الأول "المثال المقارن" ويسمى الثاني "المثال الأسطوري".

- **المثال المقارن:** ويقوم على تخيل شبيه ممكن واقعيًا مماثل للحالة المطروحة للنقاش، ويعطي لنا أرسطو مثال على ذلك بقول لسقراط مؤداه: "ينبغي عدم إسناد مهمة القضاء عن طريق القرعة،

إذ سنكون وكأننا بإجراء القرعة بين الرياضيين لا نعين من لديهم القدرة على التنافس، بل من أختاره القدر ، وأيضاً كأننا نجري القرعة بين الملاحين لاختيار من يقبض على السكان، وكأنه ينبغي أخذ من اختاره القدر لا الشخص الكفؤ".(٤٠)

- **المثال الأسطوري:** وهو النوع الثاني المتفرع عن المثال المبتكر، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره أرسطو عن خطيب ينصح سكان مدينته بعدم السماح للقاضي (فالاريس) الذي منحوه كل السلطات، بالتوفر على حرس خاص، لأن ذلك سيمكنه من التحكم في رقابهم، ولإقناعهم بالأمر حكى لهم الأسطورة التالية: "يحكى أن فرسًا تفرد بمرعى، فجاء أيل فأفسد المرعى، فلما أراد الفرس أن ينتقم لنفسه من الأيل سأل رجلاً أن يعاونه على معاقبة الأيل، فوافقه الرجل على ذلك بشرط أن يقبل اللجام وأن يحملة على ظهره وفي يده رمح. فوافق الفرس على هذه الشروط وركبه الرجل، لكنه بدلاً من أن ينتقم له من الأيل، صار الفرس من ذلك الوقت عبدًا له.... ويختم الخطيب كلامه قائلا: هكذا فأنظروا أنتم أيضاً لئلا تصيروا إلى ما صار اليه الفرس، أنتم تريدون الانتقام من أعدائكم. فإنكم قد التقمتم اللجام حيث أخترتم طاغية، فإذا أقمتم له الحرس جعلتموه يركبكم، فستصيرون عبيداً لفالاريس.."(٤١) هذا وترجع أهمية المثال الأسطوري عند مؤسس المنطق (أرسطو) إلى أنه إذا كان من الصعب العثور على أمثلة تاريخية شبيهة بالقضية المطروحة، فمن الأسهل إبتكارها عن طريق مثل أسطوري، وأن هذا النوع من الأمثلة يصلح للخطب الموجهة إلى الشعب. ومن جهة أخرى يرى أرسطو أن المثال التاريخي أكثر فائدة في الخطب السياسية (الاستشارية) لأن الأحداث المستقبلية تشبه الأحداث الماضية. كما يؤكد من ناحية ثالثة أن إستعمال المثال التاريخي يجب أن يكون في حالة عدم توافر (ضمائر) لدى الخطيب، ويفضل إستعمال المثال كشاهد يختم به الضمير، إذ أنها (أي الأمثلة) إن جاءت أولاً فإنها تشبه الإستقراء، والإستقراء لا يناسب الخطب إلا في أحوال قليلة جدًا، وإذا جاءت بآخرة فإنها تشبه البينة، والشهادة في كل حالة من المحتمل أن تقود إلى الإعتقاد، ولهذا من الضروري ذكر عدد من الأمثلة إذا وضعت أولاً. ولكن مثلاً واحداً يكفي إذا وضعت في النهاية، لأن شهادة وثيقة واحدة تفيد. (٤٢)

ثانيًا: البنية الذهنية للمفاهيم الإنفعالية (الإيتوس – الباتوس – اللوغوس) في النسق الخطابي الأرسطي

بعد أن أوضحنا مقصد أرسطو من المفهومين السابقين (الضمائر – المثال)، واللذان مثلا عنده عصب الحجاج الخطابي، أو لنقل إحدى وسائل الإقناع الخطابية. ننتقل الآن لبيان مفهومين كبيرين عنده كذلك واللذان مثلا أيضًا الجانبان الأهم والأبرز في وسائل الإقناع الإنفعالية الخطابية، ألا وهما (الإيتوس– الباتوس) وسوف نتبعهم بمفهوم (اللوغوس). وقبل أن نمضي قدمًا في بيان ذلك، لابد وأن نؤكد على نقطة هامة، وهي أننا سوف نبقى على "لفظ" كلمتي (الإيتوس Ethos و الباتوس Pathos) بلغتها الأصلية أي اليونانية، ولكن بحروف لغتنا العربية، كما أبقى عليها الباحثين الغربيين بحروف لغاتهم، لأنها لا تقبل الترجمة في رأيهم، وعلى هذا الأساس فسوف ننحي نحوهم – ولا يعني هذا أن لغتنا العربية عاجزة عن إستيعاب وترجمة مثل هذه الكلمات وإشتقاقاتها – ولكن لجريانها على الألسن ودورانها حتى أن تعويضها بغيرها قد يذهب بمعناها كما هي عند صاحبها، وفيما يلي توضيح هذه المفاهيم الإنفعالية الخطابية.

(١) مفهوم "الإيتوس" في النسق الخطابي الأرسطي:

اشرنا في مقدمة هذا البحث إلى أن الخطيب الذي ينشد الإقناع عليه معرفة شيئين مختلفين: أحدهما يمكن أن يتغير بإستمرار، وهو الموضوع الذي ينوي معالجته وثانيهما لا يتغير أبداً، وهو (النفس الإنسانية) التي يجدها حيثما خاطب الناس. وبناءًا على ذلك وضع أرسطو (النفس الإنسانية) في إعتباره الأول أثناء تشييد نسقه الخطابي فنجده يخصص (المقالة الثانية) من كتابه "الخطابة" لمعالجة سيكولوجية الخطيب، تلك السيكولوجية المفعمة بالانفعالات في قليل أو كثير من الأحيان وما ينتج عنها من تأثيرات خطابية. الأمر الذي دعى البعض إلى التساؤل عن: لماذا خصص أرسطو هذا الجزء الكبير من كتابه "الخطابة" لهذا الموضوع؟، وهو الذي نقد السابقين عليه ووسمهم بعدم الموضوعية في خطابتهم وإثارتهم للانفعالات العاطفية والذاتية المتلونة، اليس هذا من قبيل التناقض عند صاحب الاورجانون؟! للإجابة على هذا السؤال الرئيسي ستعرض الاتي:

أ- الإيتوس (الطبع الخلقي للخطيب) :

يوضح أرسطو ما يقصده ب (الإيتوس) بكون الإقناع يتم بواسطة خلق الخطيب حين يصاغ الخطاب بشكل يجعل من يتكلم أهلا للثقة. لأننا نمنح ثقتنا للشرفاء من الناس عن طيب خاطر وبسرعة في كل المسائل

عموماً، وبشكل قاطع في المواضيع التي لا تسمح بمعرفة دقيقة وتترك المكان للشك[٤٣]. واضح من هذا النص المقتضب أن مفهوم (الإيتوس) عند أرسطو مفهوم (أخلاقي) ويحد بإعتباره (الطبع الأخلاقي) الذي يلزم أن يظهر عليه الخطيب، حتى لو كان لا يملكه في الحقيقة "إذا كان المرء صادقًا ورشيدًا وودودًا دون أن يكون كذلك"[٤٤]. وهذا يعني أنه إذا كان الإقناع إنما يتم بواسطة "الباث' وهو الخطيب، وجوهر هذا الخطيب نفس، تظهر سلوكه محاسنه ومساوءه فإننا نسمي ذلك طبع، وهذا الطبع لابد أن يوحي بالثقة لسامعيه، إذن فا "الإيتوس" هو الهيئة التي وجب أن يتصف بها الخطيب لأجل أن يوحي بالثقة لسامعيه، لأنه مهما كانت حجة هذا الإنصاف للشخصية منطقية فهي لا تستطيع شيئًا دون هذه الثقة: "لذلك فإن نصافه هو تقريبًا أنجح الأدلة"[٤٥] الشخصية السلوكية Ethike Pistis: تلك يتطلب أن يوضع لها شروط فما هذه الشروط التي وضعها أرسطو؟

ب- السمات العامة للإيتوس لدى أرسطو. حدد أرسطو الشروط النابعة من الشخصية السلوكية في ثلاث.

- **الأولى:** الفهم الواعي phronesis وهذا يأتي من خلال القدرة على استخدام الجدل بطريقة منطقية "حيث أن الجدل له صلة وطيدة بفن الخطابة كما سبقت الإشارة إلى ذلك".
- **الثانية:** الفضيلة arete وتتحقق من خلال فهم الطبيعة الإنسانية والنفع الإنساني في أشكاله المختلفة.
- **الثالثة:** القبول والإستحسان من جانب السامعين تجاه الخطيب الإنساني eunoia ويتمثل هذا في فهم عواطف السامعين عن طريق معرفتها ومعرفة أسبابها ووصفه والبحث عن أفضل الوسائل لتحريك النفوس وإثارتها، حيث يعتبر أرسطو أن السامع هو الذي يحدد هدف وموضوع الخطبة، فالخطيب يتحدث أولاً بطريقة يبين فيها الشعور الطيب والأخلاق الفاضلة ومقاصده الحسنة تجاه سامعيه، وبعد ذلك يتحدث بطريقة يثير ويهدئ بها مشاعر السامعين لكي يظهرون استحسانهم نحو القضية التي يتحدث فيها، وأخيراً يجب أن يخطب بطريقة تجعل قضيته تبدو مثبتة بطريقة منطقية للسامعين، حيث يتبع هذا استخدامه العديد من الحجج الإستنتاجية والإستقرائية المبنية على مجموعة من المقدمات يلاحظها السامعون ويتفقون على صحتها [٤٦]. ويجمل لنا أرسطو ما سبق بقوله: "ولابد للخطيب أن يتحلى بثلاث خصال كي يحدث الإقناع لأنه صرف النظر عن البراهين فإن الأمور التي تؤدي إلى الإعتقاد ثلاثة. **وهذه الخصال هي:** السداد والفضيلة والبر، لأن الخطباء إنما

يخطئون بينما يقولون وفي النصيحة التي يسدونها إذا فقدوا هذه الخصال الثلاث كلها أو واحدة منها، فإنهم إذًا فقدوا اللُب "أي سداد الاختيار" كانت ظنونهم فاسدة وآرائهم غير سديدة، وإذا كانت اراءهم صحيحة، فإن شرارتهم تحملهم على ألا يقولوا ما يعتقدون، أو إذا كانوا ذوي لب وخير، فإنه قد يعوزهم البر (حب الخير)، ومن هنا فقد يحدث ألا يسدوا خير النصائح، رغم انهم يعرفونها. وهذه الخصال هي كل الخصال الضرورية، حتى أن الخطيب الذي يبدو أنه يملك هذه الخصال الثلاث سيقنع سامعيه لا محالة".[٤٧] يُفهم من ذلك أن الخطيب إذا لم يكن سديد الاختيار لن تنفعه الفضيلة، فما جدوى الفضيلة عندما تتألف مع الغفلة، وحتى حينما يكون الخطيب سديداً وفاضلاً، فإن هذا لن يجدي نفعاً إذا لم يكن الخطيب بارًا أي قاصدًا النصيحة. وهذه هي الأمور المتعلقة بالإيتوس، ولا شك أن الإيتوس يلعب اليوم دورًا خطيرًا في السياسة والتدريس والعلاقات الإجتماعية، فكم من مدرس جاهل يحظى بقبول الطلاب لمجرد الرضا العاطفي لا بسبب الفعالية العلمية وإنما بسبب القدرات التهريجية للخطيب، وقس على ذلك في مجال السياسة لذلك، فنحن مع أرسطو في اعترافه بأهمية سمعة الخطيب، ودورها في تحقيق الإقناع، وما أحوج السياسيين في كل زمان ومكان إلى هذه السمة حتى يسترد المواطنون بعض الثقة في السياسة وأصحابها.

(٢) مفهوم الباتوس في النسق الخطابي الأرسطي:

الخطابة كما لاحظها أرسطو تتألف من مكونات ثلاثة (الخطيب والموضوع والسامع)[٤٨]. وقد ركز أرسطو على العنصر الثالث لأنه هو غايتها، فالسامع قد يكون قاضيًا يقضي فيما يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، والأول هو القاضي في المحاكم أما الثاني الذي يقضي للمستقبل فهو عضو المجامع العامة في الإكليسيا، وبناء على أن كل شيء يحدد أو يقرر بواسطة غاية Telos عند أرسطو، ولما كان إقناع السامعين هو موضوع الخطبة، إذن فالسامعون ثلاثة أنواع: مستمعو قضايا المحاكم والإكليسيا والاستعراضات في المناسبات.

لكن هل طباع أو نوازع هؤلاء واحدة؟

أ- الباتوس: "سيكولوجية المستمعين" أهواء المتلقي وانفعالاته.

الباتوس أو النزوع أو طبائع المستمعين. عدد أنواعها أرسطو في كتابه "الخطابة": "الغضب والسكون والصداقة والكراهية والخوف والأمن والخجل والوقاحة والإحسان والشفقة والسخط والحسد والإغتباط"(٤٩). وفي موضع آخر يقول: "هناك إقناع بواسطة لسامعين حين يدفعون بواسطة الخطاب إلى الإحساس بانفعال ما، لأننا لا نصدر أحكامنا على نفس الشاكلة بحسب ما إذا كنا مملوئين غمًا أو فرحًا، وداً أو كراهية(٥٠). وفي كتابة "الأخلاق النيقوماخية" يقول: "أطلق النوازع أو الأهواء على الرغبة والغضب والخوف والأمن والحسد والفرح والصداقة والكراهية والألم والإغتباط والشفقة وفي كلمة واحدة، أطلق هذه الكلمة على كل الإحساسات المصحوبة بألم أو لذة (٥١).

ومعنى هذا أن "الباتوس" عند أرسطو هو مجموع الإنفعالات والأهواء والأحاسيس التي شكل مختلف (طبائع السامعين) والتي يجب أن يستثيرها الخطيب في سامعية بفضل خطابه، ولن يصل إلى ذلك إلا إذا كان على علم بطبائع السامعين (المشار إليها) كما أن معناه أيضًا أننا أمام نوع آخر من وسائل الإقناع، يختلف عن سابقيه من وسائل الإقناع الموضوعية، والمتمثلة في القياس الخطابي "الضمائر" والإستقراء الخطابي "المثال". إننا الآن أمام وسيلة إقناعية تستند على القيم الذاتية أو الإنفعالية أو الباتوسية، إذ في كل حالة إنفعال ما، وميل طبيعي ومقام خطابي نريد من خلاله الانتقال من حالة إلى أخرى، وهذا بلا شك يتطلب معرفة بعلم النفس.

ب- الباتوس ونقل التصديق إلى المقدمات والتسليم بالنتائج لدى أرسطو.

على الخطيب إذا أراد التأثير بنجاعة بواسطة خطابه أن يتكيف مع مستمعه. ولكن على ماذا يقوم هذا التكيف الذي هو ضرورة نوعية في الحجاج؟ إنه يقوم بالاساس على كون الخطيب لا يسعه أن يختار نقطة إنطلاق استدلاله، سوى في الدعاوى لمسلم بها من قبل هؤلاء اللذين يتوجه إليهم "المستمعون" أن هدف الحجاج فعلاً ليس إقامة الدليل على صدق النتيجة إنطلاقًا من صدق المقدمين، كما هو الشأن في البرهنة، بل أن هدفه هو نقل التصديق الممنوح للمقدمات إلى النتائج. فعلى الخطيب ألا ينطلق سوى من مقدمات تتمتع بتصديق كاف، وإلا كان عرضة لخطر الفشل في مهمته، فإن لم يكن هذا التصديق كافيا فتقويته بكل الوسائل يجب أن يكون أول انشغالات من يريد الإقناع، لأن نقل التصديق لا يتم إلا بإقامة ترابط وثيق بين

لمقدمات والدعاوى التي نسعى لجعلها مسلمًا بها. غير أنه يمكن للمستمع إذا ما كانت النتيجة متناقضة جدًا مع قناعاته أن يصرف النظر عن إحدى المقدمتين، فيذهب كل جهد الخطيب للتأثير سُدى(٥٢). ومن هنا وجب عليه التميز بين حالات الإنفعالات وسبر أغوارها، وقد عدد أرسطو هذه الحالات الإنفعالية، ووضع لكل واحد منها اسمًا، فاعتبرها ثلاثة عشرة حالة إنفعالية هي التي أشرنا إليها آنفا، هذه الأحوال الإنفعالية من جنس الإنفعالات التي تتحدد باعتبار الشخص الذي يحس بها أو يعانيها والشخص الذي تتوجه إليه. إن الغضب والسكون والحب والكراهية والخوف والامن والخجل والوقاحة والإحساس والشفقة والنقمة والحسد والإغتباط هي إنفعالات نحو أشخاص أو أشياء، الأمر يتعلق بتعبئة شخص ضد آخر أو لصالح آخر. ولذلك فإن كل حالة إنفعالية لها نقيض. أو يمكن أن يكون لها نقيض. إن الغضب يتعارض والسكون، والحب يتعارض، والكراهية والخوف يتعارض، والأمن والخزي يتعارض، والوقاحة والشفقة تتعارض، والنقمة والحسد يتعارض والغبطة... إلخ. وهذا ما يؤكده أرسطو بقوله: "ينبغي أن نميز في كل حالة بين ثلاثة مظاهر: ففيما يتعلق بالغضب – مثلا– في أي حالة يوجد الغاضبون، وضد من هم متعودون على أن يغضبوا وبصدد أي شيء أو موضوع يغضبون، إذ أننا إذًا اعتبرنا واحداً فقط من هذه المظاهر وليس اعتبارها كلها فلا يكون وارداً الإيحاء بالغضب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ما تبقى من النوازغ(٥٣).

وهكذا فإن الحجاج الجيد، بل الإقناع، يقتضي المعرفة بما يهز الذات التي تتوجه إليها بالخطاب أي ما يغيرها بل ما يحركها. إن باتوس الإنسان الحسود مثلاً، يجعله متأثراً من كون الآخرين يستمتعون بالخيرات التي يحس أنه محروم منها بكيفية غير عادلة. أن الخطيب يستطيع أن يجعله بصيرا للظلم الذي يتجسد في هذه الحالة الموصوفة.وعلى العكس من ذلك فإن الرجل السخي أو المحسن سيكون قليل الشعور بهذا الجنس من الحجج: أن فعل الخير يحركة أكثر من إنكاره (٥٤). ويضرب لنا أرسطو مثلًا آخر حول الخوف: "وحينما يكون من الأفضل أن يحس المستمعون بالخوف من أحد، فمن الأفيد أن يعمل الخطيب على تهيئتهم للخوف، وإشعارهم بأنهم في وضع ينذر بتعرضهم لأذى ما، إذ أن هناك من هم أقوى منهم وعانوا الأذى، وأن يبين أن آخرين في ظروف مماثلة لظروفهم قد عانوا أو يعانون، وأن هذا الأذى كان من فعل أناس لم يكن منتظرًا أن يبدر منهم ذلك، وفي ظروف لم يخامر الضحايا ظن احتمال حدوث ذلك"(٥٥). ولا شك أن من كل هذه الأوضاع وغيرها كثير، يستطيع الخطيب أن يستغلها ليس لإقناع لمستمع وحسب، بل لكي يجعل منه دمية يعبث بها ويسخرها كيف شاء، مستغلا أوضاع الناس الإجتماعية والإيديولوجية والدينية والأسطورية

ورغباتهم المقموعة وشهواتهم المكلومة أن يصنع منهم ما يشاء. ومما هو جدير بالذكر أيضاً، أن تحليل أرسطو المطول عن الباتوس قد جعله من جهة مؤسسًا لعلم النفس في العالم القديم ومن جهة أخرى أنه ألهم الكثير من المفكرين المعاصرين على التأليف فيما يسمى الآن بعلم النفس الاجتماعي. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المفكر الفرنسي "غوستاف لوبون" الذي ألف كتابًا بعنوان "سيكولوجية الجماهير" *Foules Psychologie des* حيث أصبح مرجعا مهما لفهم نفسيات الجماهير وطريقة تفكيرهم، والطرق dle التي تتأثر بها وتتحرك بناءًا عليها. (٥٦).

(٣) مفهوم اللوغوس في النسق الخطابي الأرسطي:

خصص (كانتيليان) دراسة مطولة عن الإيتوس والباتوس "بإعتبارهما مفهومين رئيسيين في خطابة أرسطو مبقيًا عليهما باللاتينية متعللاً بأنهما لا يقبلان الترجمة" وقد أوضح لنا الفرق الكامن بينهما في أن "الإيتوس إنفعالية هادئة ومتزنة ودائمة وخاضعة للمراقبة الأخلاقية، في حين أن الباتوس إنفعالية فجائية وعنيفة ولا تقهر وبالتالي غير مسئولة"(٥٧). على الرغم من أنه لم يحدد لنا تحديداً واضحاً أيهما يخص الخطيب وأيهما يخص السامعين "كما أوضحنا سابقًا". لكن على كل حال فإذا كان الإيتوس يخص الخطيب والباتوس يخص السامعين، فإن "اللوغوس يخص حجاج الخطاب بمعناه الأصح، إنه المظهر الجدلي المحض للخطابة الذي يستعيده أرسطو كليًا من كتاب الجدل"(٥٨). وهذا يعني أن وسيلة الإقناع الثالثة "بعد الإيتوس والباتوس بما هما ذوا طابع إنفعالي" هي "اللوغوس" بما هو ذو طابع عقلي، وفي السياق التالي توضيح ذلك.

أ- اللوغوس (قوة الكلمة المعقولة) لدى أرسطو .

ليس هناك لغة دونما عقل، وليس يكون عقل دونما لغة، فكانه هو هي، وهي هو، إذا الواحد منهما يدل على الآخر الدلالة ويشير إلية الإشارة، فكأن حضور أحدهما يعني حضور الآخر ضمنًا، وهذا ما قرره أرسطو بقوله: أن الإقناع يحدث عن الكلام نفسه، إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة (٥٩).

ومن جهة أخرى يعتبر أرسطو "كسابقيه من فلاسفة اليونان" أن ملكة الكلام هي الملكة الأساسية التي تميز الإنسان عن العجماوات. كما يعتبر أن كفاءة التحاور لمستند علي القيمة الأسمى التي هي الفضيلة الإنسانية الخاصية المميزة للإنسان، ويوضح لنا ذلك بقوله: إذا كان من المخجل ألا يتمكن الإنسان من الدفاع عن نفسة بالقوة العضلية، فإنه من العبث ألا يتمكن الإنسان من الدفاع عن نفسة بالكلام والعقل ، إذ استعمال

الكلام العقلي أكثر تمييزا للإنسان من استعمال عضلاته، وإذا أعترض معترض فقال أن من يستعمل قوة الكلام استعمالًا ظالمًا يضر ضررًا شديدًا، فإن هذه التهمة يمكن أن ترمى ضد كل الأمور الخيرة ما عدا الفضيلة وخصوصًا ضد الأمور الانفع مثل القوة والصحة والثروة والذكاء، إذ بهذه الخيرات يمكن أن نجني فوائد جمة، إذا إستعملت بشكل عادل، ويمكن أن تكون بالغة الضرر إذا استعملت بشكل يتنافي والعدل [٦٠].

اللوغوس: إذن من خلال سياق كلام أرسطو يعني الكلمة المرتبطة بالعقل، أو (اللغة والعقل) لذلك كان تأكيده على أنه لا ينبغي أن تترك الكلمة، على عوهنها غير مقيدة بالعقل، وإلا أصبحت "ثرثرة" ضررها أكثر من نفعها، فالذي يهذي دون إنشغال بردود فعل من يسمعه، سرعان ما يعتبر خاضعاً لأهوائة وفريسة لأوهامه، بدل أن يعتبر نساناً عاقلاً يسعى إلى أن يقاسم الآخرين قناعاته. ومن هنا لايمكن لكل الناس (حتى في مجتمع ليبرالي) أن يتناولوا الكلمة في أي ظرف ويستمع إليهم، بل حتى مناصر الحوار الأكثر حماساً لايكون مستعدًا للدخول في مناقشة مع أي كان، في أي موضوع كان، وهذا ما سجله أرسطو من قبل (في كتابه الجدل) إذ قال إنه لا ينبغي تجنب لنقاش مع أي كان فحسب، بل لابد من تحاشي مناقشة مسائل معينة: "فأولئك اللذين يتساءلون مثلاً، هل ينبغي أن نكرم الإله ونحب الوالدين ليسوا بحاجة إلا إلى التأديب، واللذين يتساءلون هل الثلج أبيض أو لا، ما عليهم إلا أن يستخدموا بصرهم [٦١].

فبعض القضايا لا تستحق النقاش، وبعضها الآخر لا يمكن مناقشته، لأن جعلها موضع تساؤل هو في حد ذاته مس بالمقدسات أو عمل مشين.

وإذا كان اللوغوس يعني أولا الكلمة المرتبطة بالعقل، فإنه يعني أكثر عند أرسطو "قوة الكلمة" وقد وجدنا ذلك واضحًا حين قابل بين الكلام والقوة (من خلال النص السابق)

فالعجز عن الدفاع عن النفس بواسطة الكلام يجلب الخزي والعار، وبالتالي فاللوغوس وسيلة للحفاظ على كرامة الإنسان، بل يصبح إتقانه وإجبا على الإنسان من أجل الرقي بإنسانيته وصون كرامته، وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نحد مفهوم "اللوغوس" عند أرسطو بأنه (قوة الكلمة المعقولة).

ب- اللوغوس (تطبيق لقواعد المنطق والجدل) في الخطابة لدى أرسطو:

عندما نمعن النظر والتحليل في بعض نصوص أو أقوال أرسطو التي عرضنا لها سابقاً، سنجد أن بعضها تستوقفنا، من ذلك قوله: كل الناس يمارسون آن قليل أو كثير الجدل والخطابة، كل الناس يحاولون في حدود معينة دعم وتفنيد فكرة (ما) والدفاع والإتهام. ومنها (نتعلم كل شيء إما بواسطة الإستقراء أو بواسطة القياس)

ومنها كذلك (إنني أسمى المضمر قياسًا خاطبيًا، وأسمى المثال أو الشاهد استقراءًا خطابيًا، كل الناس يبرهنون على إثبات ما بالشاهد أو بالمضمر، ولا يوجد غيرهما لأجل هذه الغاية) ومنهما أيضاَ "القياس المضمر هو الحجة بإمتياز".

أقول عندما نمعن النظر في هذه الأقوال مجتمعة فإنها تدل دلالة واضحة على أن اللوغوس لدى أرسطو يحظى بالهيمنة على الإيتوس والباتوس. بل لو شئنا الدقة لقلنا إنه (رمانة الميزان) بينهما، ولما لا وهو يمثل "قوة الكلمة المعقولة" والمسموعة كذلك.

ومن هنا كان نقده للسابقين عليه (والذي عرضنا له) الذين لم يقولوا شيئاً بصدد القياس المضمر، وهو الذي يمثل عصب الحجاج أو جسد البرهان، ولم يتطرقوا في أغلب الحالات إلا إلى أمورلا علاقة لها بالموضوع. وبالجملة لقد تجاهل دارسي الخطابة في رأي أرسطو المقومات المنطقية، الأمر الذي جعله يسعى إلى إخضاعها لنفس قواعد المنطق الصوري ولنفس قواعد الجدل، وهي القواعد والملامح التي تكسب الخطاب صفة الموضوعية والإتزان. ذلك لأن "العقل لا يفتأ يتستر على الدوافع الحقيقية لأفعالنا التي قد تكون لا عقلانية تمامًا [٦٢].

ومن هنا نفهم أيضًا قصد أرسطو الحقيقي من نقده للسابقين عليه الذين أفسحوا المجال في خطابتهم للأهواء والرغبات العاطفية، وأنه لم يتناقض مع نفسه (وهو واضع علم المنطق القائم أساسًا على مبدأ عدم التناقض) حينما أفسح لها المجال في كتابه "الخطابة"، لأنهم لم يرقوا بها إلى مستوى الصناعة، وهي لن ترقى إلى هذا المستوى إلا إذا كانت مبنية على الاستدلال الذي يشكل الضمير عصبه وقوامه، لذا استخلص أرسطو أن التحكم في وسائل الإقناع يتطلب القدرة على استعمال القياس، والفهم الواضح لمجال الأخلاق والفضائل، وكذا لمجال الأهواء بمعرفة كل واحد منها وطبيعته ومن أين ينشأ وكيف[٦٣]. وعلى هذا الأساس كان استنتاجة "أن الخطابة فرع من لجدل، وايضاً فرع من علم الاخلاق يمكن أن يدعي بحق علم السياسة [٦٤].

المبحث الثاني:

ارتباط الجوانب الانفعالية بالنسق الخطابي الأرسطي

يبدأ النسق الخطابي الأرسطي بتصنيف الخطاب إلى أربعة أجزاء، تمثل المراحل الأربعة التي يمر بها ذاك الذي يؤلف خطابًا، أو التي يفترض أن يمر بها، وهذه الأجزاء الأربعة هي المهام (erga) التي ينبغي على

الخطيب القيام بها، وإذا هو أخل بواحدة منها، صار خطابه مهاهلًا، وسيء الكتابة. صحيح أنه يمكن الإنتقال من محاولة الإلقاء، إلى البحث عن الحجج، والكتابة قبل يجاد الخطة، فالتنظيم الزمني غير مهم، أنما المهم هو الإلتزام بهذه المراحل الأربعة والتي هي:

- **الإبداع** في وسائل الإقناع (heuresis) وهو بحث الخطيب عن كل الحجج ووسائل المقانعة الاخرى الخاصة بموضوع خطابه.
- **والثاني** هو الأسلوب أوالبلاغة (lexis) وهو التحرير الكتابي للخطاب حيث يظهر أسلوب الخطيب وبراعته.
- **والثالث** هو الترتيب (taxis) وهو تنظيم الحجج التي سينتج عنها التنظيم الداخلي للخطاب وخطته.
- **والرابع** هو الإلقاء (hypocrisis) وهو التلفظ الواقعي للخطاب، مع ما يستلزم ذلك من تأثيرات إنفعالية كالصوت والإيماءات الإشارية وحركة الجمد [٦٥].

هذا ولما كانت الجوانب الإنفعالية مرتبطة أشد الارتباط بهذا النسق الخطابي الأرسطي، وكانت المرحلة الأولى المتمثلة في (الإبداع) ذات أهمية محورية في هذا النسق، لذا فقد رأينا أن نضعها في إطارها النظري كمطلب أول، وباقي المراحل نضعها متتابعة كمطلب ثاني. وفيما يلي عرض ذلك.

أولا: إبداع وسائل الإقناع وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي

الإبداع إسم مشترك لمفهومين: أحدهما تأسيس الشيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء. والمفهوم الثاني، أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا متوسط، وله في ذاته ألا يكون موجودًا وقد أفقد الذي له من ذاته افتقادًا تاماً. وقيل عن الإبداع أيضاً أنه تأسيس. الشيء عن الشيء [٦٦].

ولهذا فقبل الشروع في خطاب، ينبغي على الخطيب أن يتساءل عن الذي يلزم بحثه، وبالتالي عن صنف الجنس الملائم للموضوع، وكذلك تأويل الخطاب أو غايته، وهنا تكمن بداية الإبداع الخطابي وهو أن يؤسس الخطيب خطابه بناءًا على ما يأتي.

(١) أجناس الخطابة وأزمنتها وغاية كل منها وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي.

حسب السابقين على أرسطو، فقد أتفق على أن أجناس الخطابة ثلاث. هي : المشاجري (القضائي) والمشاوري (السياسي)، والمشاهري (الإحتفالي)، وأكد أرسطو ذلك بقوله : "أنواع الخطابة ثلاثة تتناسب مع

السامعين، لأن كل خطبة تتألف من ثلاثة عناصر: الخطيب، والموضوع الذي يتناوله، والشخص الذي يوجه إليه الخطاب، أعني لسامع الذي يميل الغاية أو الهدف من الخطبة، أما السامع فهو بالضرورة مجرد مشاهد أو قاضي، والقاضي إما أن يحكم على الأمور الماضية أو على الأمور المقبلة، فمثلا العضو في جمعية عمومية، هو حاكم (قاضي) على الأمور المقبلة، والقاضي يقضي في الأمور الماضية، والمشاهد يحكم على مهارة الخطيب. ولهذا كان بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشاورية، والمشاجرية، والمشاهرية، فأما المشاوري فهو إما حض أو نهي، لأن اللذين يثيرون في الخواص وأولئك الذين يخطبون في المجامع إما أن يحضوا أو ينهوا، وأما المشاجري، فمنه إتهام، ومنه دفاع، لأن اللذين يتشاجرون لا محالة أما انهم يتهمون، أو يدافعون، وأما المشاهري فمنه مدح ، ومنه ذم، ويناسب كل نوع من هذه الأنواع زمان: فالمشاورى يناسبه المستقبل، لأن الخطيب، سواء كان يحض أو ينهي أو يشير بأمور مستقبلية، ويناسب المشاجري الزمان الماضي، لأن إتهام الواحد ودفاع الآخر يتعلق دائمًا بأمور حدثت في الماضي، ويناسب المشاهري غالبا الزمان الحاضر، لأن الذين يمدحون أو يذمون يتناولون الأحوال الراهنة"[٦٧]. وزيادة في التوضيح يمكن لنا أن نقسم هذا النص على طوله في النقاط التالية:

أ- الخطاب المشاجري (القضائي) وزمنه وغايته.

هو أول الأجناس الخطابية (لأن ضرورة إسترداد الحقوق المنهوبة أقتضت ذلك كما بينًا في بحث سابق). هذا ولما كان أرسطو قد تبع السابقين عليه في تحديد الأجناس الخطابية، على أساس أنه لا يوجد إلا ثلاثة أنواع من السامعين، فإن سامع الخطاب المشاجري هو المحكمة، والأفعال المميزة له هو الإدانة أو البراءة، والزمن الذي يقوم عليه الفعل هو الماضي، لأن وقائعه ماضية يجب إثباتها ووصفها والحكم عليها، والقيم التي تصلح لها كضوابط هي العادل والجائر .

ب- الخطاب المشاوري (السياسي) وزمنه وغايته.

سامع الخطاب المشاوري هو المجمع (مجلس النواب أو مجلس الشيوخ) والافعال لمميزة له هو "الحث أو (المنع) في جميع المسائل الخاصة بالمدينة (كالسلم أو الحرب أو الدفاع، والضرائب، والميزانية، والاستيراد والتشريع) ويقوم المشاوري على المستقبل، ما دام يحث على قرارات ومشاريع، والقيم المميزة له. هو النافع والضار لاي شيء يخص المدينة أو المصلحة الوطنية والاجتماعية.

ومما هو جدير بالذكر أن الخطابة المشاورية أو السياسية قد حظيت عند أرسطو بإهتمام كبير، فهي عنده أنبل في ممارستها من القضائية، لأنها أقل تأثراً بالخدع من الأخرى، كما أن السامع فيها يحكم على قضايا تتعلق بمصالحه الخاصة، وبالتالي فكل ما على الخطيب بيانه هو صحة ما يتقدم به، أما في الخطابة القضائية، فلا يكون ذلك كافيًا، ومن المفيد كسب السامع، لأن القضايا المطروحة غريبة عن القضاة، وبما أنهم لا يهتمون سوى بإرضاء أذواقهم الخاصة، وينصتون للمرافقات طلبًا للمتعة التي يجدونها فيها، فهم ينساقون وراء المترافعين بدل أن يحكموا بينهم بالفعل [٦٨].

كما ترجع أهمية الخطاب السياسي لدى أرسطو بارتباطه بعلم السياسة حيث يعد علم السياسة عنده هو العلم الأسمى لأنه يسعى إلى أسمى غاية وهي إسعاد كل الحاضرة أي كل المواطنين. أما باقي العلوم فإنها تسمو وتنحط تبعًا لعلاقتها بهذا العلم الأسمى وهذا ما أكده لنا بقوله: "النقطة الأولى التي ينبغي أن نعتبرها بديهية هي أن الخير يشتق من العلم الأسمى، العلم الأهم من بين كل العلوم الذي هو علم السياسة، إنه العلم الذي يحدد ما هي العلوم الضرورية لقيام الدول أو الحواضر، ما هي العلوم التي ينبغي للمواطنين أن يقبلوا على تعلمها وبأي مقار ينبغي إمتلاكها، وفوق ذلك ينبغي أن نلاحظ أن العلوم التي تستحق التقدير الأعظم هي تلك التابعة للسياسة، مثل العلم لعسكري والإقتصاد والخطابة"[٦٩].

وعلى هذا الأساس فقد أعطى أرسطو للخطابة بعدًا أخلاقيًا إجتماعيًا، فمهمتها هي الحيلولة دون إصدار المحاكم، أحكاماً جائرة (وإصدار المجالس قرارات منافية للحق والعدل) والتصدي لكل المحاولات الرامية الي تغليب الباطل والظلم للحفاظ على التفوق لطبيعي للحق والعدل داخل المدينة. فهي، إذن، في خدمة الحق والعدل، وأداة لمواجهة مفسدين الذين يستغلون المؤسسات الديمقراطية داخل المدينة لأغراض منافية لهما، على عكس إدعاءات أعدائها، اللذين يذهبون إلى أن الخطابة ممارسة لا أخلاقية وتستهتر بالحق والعدل، متناسين أن الخطابة كغيرها من الصناعات التي أن أسيء ستخدامها تنقلب إلى ضدها. ومن هنا فإن كتاب الخطابة لارسطو، ليس مجرد كتاب ختصر موجه إلى التلقين التقليدي، بل كان أداة تندرج في سعير الحياة اليومية بل لسياسة للأثينيين، حيث اكتسبت السياسة الصدارة لدى آرسطو.

ج- الخطاب المشاهري (الإحتفالي) وزمنه وغايته:

وهو النوع الثالث من الأجناس الخطابية، وسامع الخطاب المشاهري هم الحضور، أي جميع أولئك اللذين يحضرون خطابًا سواء أكان إحتفاليا أم تأبينًا،والأفعال المميزة له هو (الذم) و (المدح) وعلى الأكثر يمدح،

إما إنساناً، أو صنفاً من الناس كقتلى الحروب أو المدينة أو كائنات إسطورية، ويقوم، المشاهري على الحاضر – ما دام الخطيب يتقدم إلى نيل إعجاب الحضور، محتجاً بالماضي والمستقبل، أما القيم التي تلهم هذا الجنس، فهي "النبيل والخسيس" وهما قيمتان لاعلاقة لهما بالمصلحة الاجتماعية، وليس تختلطان أيضاً مع (العادل) الذي هو في جميع الاحوال بمعني الشرعي [٧٠].

(٢) أنواع الحجج المستخدمة في الأجناس الخطابية لدى أرسطو.

أ- الحجج التي ينبغي استخدامها في الأجناس الثلاثة.

أما بالنسبة لأنواع الحجج التي تستخدم في كل نوع من الأجناس الخطابية الثلاثة فإن أرسطو يرى أن الحجج تستخدم في المشاجري أو (القضائي) الذي يستعين بالقوانين ويتوجة إلى سامع متخصص، فهو الإستدلالات القياسية (الضمائر) الخاصة بإثبات سبب الأفعال [٧١].

والمحاجة التي تستخدم في الجنس المشاوري (السياسي) الذي يتوجه إلى جمهور أكثر حركية وأقل ثقافة فهو (المثال) وهو (إستقراء) يسمح من جهة بتخمين المستقبل اعتمادًا على وقائع ماضية "لقد طلب دونيس حرساً، والحال أن كل الطغاه الذين مضوا، المشهورين في التاريخ فد طلبوا حرساً، فإذن، سيصبح دونيس طاغية"[٧٢].

أما المشاهري، فإنه يلجأ خاصة إلى التضخيم _ لأن الوقائع يعلمها الجمهور، ودور لخطيب أن يشيد بها، بتبيان أهميتها ونبلها [٧٣].

لأن كل مستمع بالنسبة لأرسطو فهو حكم ينبغي عليه أن يعلن موقفه في نهاية المطاف، وهذا التصور للسامع على إنه إما حكم (في المجلس أو في المحكمة) وإما متفرج، قد أجرى عليه أرسطو بعض التعديل في المقالة الثانية من كتابه الخطابة – حيث اعتبره حكما في جميع الأحوال "مادام إستخدام الخطابات الإقناعية يهدف إلى إصدار حكم، وما دام هذا الهدف يصلح في نفس الوقت حين نلجأ إلى الكلام لإقناع شخص واحد أو صرفه ، كما يفعل من يبكتون وينصحون (فالشخص الوحيد هو حكم كذلك، لأن من ينبغي إقناعه يمكن أن نقول إنه حكم لا أقل ولا أكثر) وكذلك في الخطب الإحتفالية لأن الخطاب في هذه الحالة، يؤلف كما لو كان سيوجه لحكم"[٧٤].

هذه هي الأجناس الخطابية التي أعتنى بها أرسطو، لأنها مرتبطة كما أشرنا ارتباطا وثيقاً بالمؤسسات السياسية، فالخطابة المشاورية أو الإستشارية أو السياسية، هي تلك التي تبقى في مؤسسة الجمعية العامة

حيث تقرر مشاريع تدبير الدولة، وحيث يجتمع كل المواطنين ويشاركون بالانتخاب والترشيح والتوجيه والتصويت، والمؤسسة القضائية حيث تتم محاكمة الجناة من مسئولي الدولة ومرتكبي الجرائم الوطنية، والتجمع الشعبي حيث تتم الإحتفال بالمناسبات والأبطال القوميين، والظاهر أن خارج هذه الهياكل لا حديث لأرسطو عن الخطابة. وفي المقابل فإن فن الشعر لأرسطو يتعذر فهمه. هو ايضاً، إذا لم يوضع في إطار المؤسسة السياسية الحاكمة في أثينا، أي بإعتبار فن الشعر أداة لتكوين المواطن الحر والسوى ولم يكن الشعر هنا مجرد أداة لتزجية الفراغ كما هو الأمر في عالمنا الان.

ب- موقف الخطيب من الأجناس الخطابية:

يتخذ الخطيب في كل جنس من الأجناس السابقة موقفاً إما مع ما هو مطروح للنقاش أو ضده، ففي الجنس الاستشاري قد يكون مع المسألة المتداول حولها فينصح بفعلها.

وقد يكون ضدها فينصح بتجنب فعلها، وفي الجنس القضائي إما أن يكون مع القضية فيدافع عنها، وإما ضدها فيمارس الإتهام. وفي الجنس الإحتفالي يمدح إذا كان مع الموضوع المطروح أو يذم إذا كان ضده، هكذا فمهمة الخطيب في كل جنس هي العمل على إقناع المستمع بإتخاذ موقف إما لصالح ما هو مطروح أو ضده، إلا أن هذا الموقف يتحدد من خلال ما يدعو إليه الخطيب في كل جنس: "النصح بالفعل أو عدمه في الجنس الاستشاري والإتهام أو الدفاع في القضائي، والمدح أو الذم في الإحتفالي"[٧٥]. وبطبيعة الحال يمكن أن تعتبر أن الغاية من أية مداولة خطابية حول أمر معين هو إثبات كونه صالحاً أو طالحاً، خيراً أو شراً، تلك الثنائية القيمية تتفرع عنها ثنائيات قيمية أخرى، عبر عنها أرسطو بقوله: "الغاية المتوخاه من قبل كل جنس مختلفة، وبما أن هذه الأجناس ثلاثة، فهناك ثلاث غايات كذلك"[٧٦].

هكذا تتفرع عن الثنائية الأصلية (الخير – الشر) ثنائية (النافع – الضار) بإعتبارها غاية يسعى الخطيب لإثباتها لموضوع النقاش في الخطابة الاستشارية – وثنائية (العادل– الظالم) في القضائية، وثنائية (الجميل – القبيح) في الاحتفالية، ويؤكد أرسطو أن الخطيب يمكن أن يدرج الاعتبارات الخاصة بجنس معين في جنس آخر، لكن بشكل ثانوي ولكي تصب في الغاية النهائية لكل جنس: فيمكن للخطيب في الجنس الاستشاري أن يستند على العادل أو الظالم والجميل أو القبيح، لكن ليثبت أن الموضوع المطروح نافع أو ضار "[٧٧].

(٣) وسائل الإقناع الإنفعالية (الإيتوس – الباتوس) وارتباطها بالنسق الخطابي الأرسطي: –

بعد أن يفرغ الخطيب من تحديد جنس خطابة تكون مهمته التالية: هي إيجاد الوسيلة المناسبة للإقناع، ولما كان الإقناع (حجة) فقد أوضح أرسطو أن هناك ثلاثة أصناف من الحجج، بالمعنى العام لوسائل المقانعه هما: الإيتوس والباتوس بما هما ذوا طابع إنفعالي، واللوغوس بما هو ذو طابع عقلي (وهذا ما ذكرناه في المبحث الأول). كما ذكرنا أنه ينبغي للخطيب، أن يخاطب العقل والعاطفة أو الوجدان، لكي يكون خطابة ناجحا وأن يكمل إستدلالاته وحججه العقلية، أي اللوغوس، بحجج تستهدف كسب المتلقي عاطفياً، وذكرنا أيضاً أن ذلك يتحقق بوسيلتين: الأولى متعلقة بأخلاق الخطيب أي "الإيتوس" والثانية بأهواء المتلقي وانفعالاته أي " الباتوس ".

نضيف إلى ما سبق ذكره، أن أرسطو قد أكد على أن (الإيتوس) يصلح أكثر للجنس الاستشاري (السياسي) حيث ينبغي أن يبدو الخطيب على خلق معين، وأن يفترض المستمع أن لدية إستعدادات معينة تجاهه.

وأن "الباتوس" يصلح أكثر للجنس القضائي، حيق ينبغي أن تتوفر لدى المستمع استعدادات نفسية لتبني موقف الخطيب [٧٨] ولم يكتف ببيان ما يتعلق بايتوس الخطيب وباتوس المستمع، بل أضاف إليهما مبحثاً متعلقاً بطبائع فئات اجتماعية معينة وأخلاقها يمكن أن نسمية "إيتوس المستمع" وفيما يلي توضيح ذلك.

أ– إيتوس الخطيب لدى أرسطو .

حدد أرسطو (كما سبق أن ذكرنا في المبحث الأول) إيتوس الخطيب في ثلاث خصال هي (السداد في الرأي والفضيلة والبر) وقد أوضحنا هذه الخصال، لكن الهدف من هذه الوسيلة الإقناعية هي جعل المستمع ينظر إلى الخطيب على أنه أهل للثقة. فالأمر لا يتعلق بمنظور أخلاقي أو بهدف أخلاقي. بل بهدف عملي. يجعل المستمع مستعا لقبول كلام الخطيب والأراء التي يطرحها. وهو أمر لن يتحقق إلا إذا رأى المستمع فيه شخصا تتوفر فيه الصفات التي تمكنه من الأدلاء برأى صائب، والصفات التي تعطي هذا الإنطباع حول الخطيب هي تلك الخصال الثلاثة، لكن أرسطو لم يفصل الحديث عن هذه الأخلاق الثلاثة كما سبقت الإشارة، بل اكتفي بالإحالة على ما سبق ان ذكره عن أجزاء الفضيلة في مواضع الجنس الإحتفالي بالنسبة للفضيلة والسداد. أما بالنسبة للبر، فأشار الى أنه سوف يتطرق إليه ضمن حديثه عن "الباتوس" وبالضبط (الصداقة والحب). وذلك بإعتبار الصداقة عنده "أن يهوى الإنسان لإنسان آخر الأشياء التي يعتقد أنها خير، من أجله هو لا من أجلنا نحن، وأن يوفرها له قدر استطاعته"[٧٩].

ب- باتوس المستمع لدى آرسطو.

لقد كان أرسطو على وعي تام بالدور الخطير الذي يلعبه الباتوس في الإقناع (وقد بينا ذلك في المبحث الأول)، وهو أمر ليس جديداً على الخطابة اليونانية، وإلا لما كرس معلمو الخطابة معظم جهودهم لهذا الجانب كما يقول أرسطو. إلا أنه لم يكتف بوصفات جاهزة مثلهم تحدد ما على الخطيب أن يستثيره من انفعالات المستمع في كل جزء من الخطبة، بل قدم تحليلا عميقاً لمختلف الأهواء والانفعالات التي من شأنها، إن تمت معرفة كيفية استثمارها من قبل الخطيب، أن تحسم الأمر لصالحه ، إنه تحليل علمي لخفايا النفس البشرية وما يجيش في أعماقها، وقد يكون هذا الجزء من كتاب "الخطابة" هو الأكثر أصالة في كل ما قدمه أرسطو فيه، حيث بدأه بتعريف المقصود بالأهواء قائلاً : أن الانفعالات هي كل التغيرات التي تجعل الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم وتكون مصحوبة باللذة والألم، مثل الغضب والرحمة والخوف وكل الانفعالات المشابهة وأضدادها[٨٠]. ويلاحظ على هذا التعريف أنه لم يحدد حقيقة جوهر الأهواء، كما هو مطلوب في أي تعريف، بل إن اهتمام أرسطو هنا كان منصباً على بيان الجانب الذي يهمه منها، باعتبارها من وسائل الإقناع، إنه يركز فقط على جانبها الحجاجي إن صح التعبير، وعلى هذا الأساس قام على امتداد عشرة فصول، بتحليل أثنى عشر نوعاً من الأهواء هي: الغضب والاحتقار، والسكينة، والحب أو الصداقة، والكراهية، والخوف، والاطمئنان، والخجل، والإحسان والشفقة، والسخط والحسد، والغبطة[٨١]. ويلاحظ من تعداد هذه الأهواء أن أرسطو يذكر الانفعال ومضاده، ولكنه كان يكتفي في بعضها بالإشارة إلى أن التوضيحات التي قدمها كافية لكي تستخرج منها حجج مضادة، وقد تناول كل هوى من ثلاثة مظاهر له (كما أشرنا في المبحث السابق): طبع الأشخاص الذين تنتابهم هذه الأهواء عادة أو مزاجهم، والأشياء أو الأشخاص الذين يكونون موضوعاً لها، والظروف التي تستثيرها [٨٢] وقبل أن يتطرق إلى أي واحد منها، كان يقدم تعريفاً له. هذه التعريفات تكشف لوحدها عن ذكاء أرسطو ودرايته العميقة بأعماق النفس البشرية وما يجيش بداخلها. ولقد ضربنا عدة أمثلة تبين ذلك في المبحث السابق مثل "الخوف" ولا يتسع المقام هنا لعرض كل ما ذكره أرسطو في اثنتا عشر فصلا.

ج- التمييز بين أدلة الإقناع الطبيعية والصناعية لدى أرسطو.

بعد أن يفرغ الخطيب من إيجاد وسيلة الإقناع المناسبة، يتوافر له صنفين من الأدلة "التصديقات" هي الأدلة الطبيعية أو الخارجية والادلة الصناعية أو الداخلية [٨٣].

أ – الأدلة الطبيعية أو الخارجية.

الادلة الخارجية atechnai وهي تلك المعطاة قبل كل إبداع وهي: الشهادات والاعترافات، والقوانين، والعقود..... إلخ وفي المشاهري كل ما نعرفه عن الشخص الذي يجب علينا مدحه.

ب – الأدلة الصناعية أو الداخلية.

الأدلة الداخلية: entechnai وهي الادلة التي يخلقها الخطيب بنفسه، وهي تتوقف على منهجه وموهبته الشخصية (إنها طريقته الخاصة في الدفاع عن ملفة ودعمه) ويشير أرسطو إلى ذلك قائلاً: "أما التصديقات فيعضها غير صناعية، وبعضها صناعية، وأقصد بالأولى – تلك التي لم نأت بها نحن، بل كانت موجودة من قبل، مثل الشهود، والتعذيب، والصكوك، وما أشبهها، وأقصد بالثانية – كل ما يمكن إعداده بالحيلة، وبمجهودنا، وهكذا ما علينا إلا الاستفادة من الأولى، بينما يجب أن نكتشف الثانية بأنفسنا"(٨٤).

(٤) المواضع وارتباطها بالنسق الخطابي الارسطي:

المرحلة الأخيرة في الإبداع هي / كيف نجد الحجج؟ وستكون الإجابة ب (المواضع) stasis الخطابة الأرسطية بصفة خاصة، وهو يعني ببساطة "حجة جاهزة يمكن أن يضعها الخطيب في أية لحظة من خطابه، وغالباً بعد أن يحفظها عن ظهر قلب"(٨٥).

وفي إطار "المواضع" قدم أرسطو أغلب مواد الحجاج التي أطلق عليها من جاء بعده مصطلح (الإيجاد) وضمها معظم فصول كتابه الخطابة (لأول والثاني) وذلك لتسهيل مهمة الخطيب، بتوفيرها مواد ومصادر يستقي منها حججه، ويمنح منها وسائل الإقناع المناسبة للمسألة والموضوع الذي يهمه (على الرغم أن الحجج غير محدودة، بل هي لا نهائية ولا يمكن لأي خطابة أن تحيط بها وتجمعها) لذلك فإيجاد الحجة تبقى مهمة يطلع بها الخطيب نفسه، ولا تستطيع الخطابة سوى آن تسهل هذه المهمة عليه، وهو ما قام به أرسطو، حيث ربطها بالقياس والضمير، إذ يقول :" وأعني بالأقيسة الجدلية والخطابية تلك التي تعني بما نسميه (المواضع)"(٨٦).

هذا وقد قسم أرسطو المواضع إلى (مواضع مشتركة) و (مواضع خاصة)

أ- المواضع المشتركة لدى أرسطو.

وهي التي يمكن استعمالها في كل المجالات، ويشير أرسطو إلى ذلك بقوله:" هي التي يمكن تطبيقها على السواء، على القانون، والفيزياء، والسياسة، وعلى علوم أخرى كثيرة تختلف بالنوع، مثل موضع الأكثر والأقل، الذي يزود، بأقيسة وضمائر متساوية لجودة "[٨٧] ويوضح أرسطو ذلك بقوله: "كيف يكون باستطاعتنا أن ننصح الأثينيين بالحرب أو بعدم الحرب إذا لم نعرف ما يشكل قوتهم. هل هي الأسطول أم القوات البرية أم هما معاً؟ وما عدد هذه القوات؟ وما إمكانياتهم المالية؟ ومن أصدقاؤهم وأعداؤهم؟ وأيضاً ما الحروب التي خاضوها من قبل؟ وبأية طريقة؟ وأشياء أخرى من نفس الشاكلة.. وينبغي التصرف بالطريقة نفسها سواء تعلق الامر بالأثينيين أو اللاقدمونيين، بإنسان أو بإله، لا فرق. فسواء كنا ننصح أخيلوس، أو نمدحه أو نذمه، أو نتهمه أو ندافع عنه، ينبغي أن نتمكن من المعطيات الحقيقية أو المفترضة المتعلقة به. وفقاً لذلك، إن كان هناك شيء نبيل أو شائن، ومن اجل أن ندافع أو نتهم، أن كان هناك شيء عادل أو غير عادل، ومن أجل أن ننصح أن كان هناك شيء نافع أو ضار. وكذلك الشأن بالنسبة إلى كل موضوع أياً كان"[٨٨].

ويعدد ارسطو المواضع المشتركة، لكنه قبل ذلك يقدم مجموعة من التوضيحات متعلقة بالضمائر وكيف ينبغي أن تطلب، وحدد شرطين لها هما: "ينبغي ألا يتضمن كل خطوات الاستدلال، ونتيجته يجب ألا تستخلص من بعيد" ففي الحالة الأولى سيتضمن ضمير ثرثرة لا فائدة منها، ما دمنا سنتكلم عن أمور بدهية، وفي الثانية سيؤدي طول الاستدلال إلى الغموض. ويشير أرسطو إلى أن هذا ما يجعل الجاهلين أكثر إقناعاً من الخطباء المتعلمين أمام الجموع، لان المتعلمين يتحدثون بطريقة مجردة عامة، أما الجاهلون فهم ينطلقون مما يعرفون ويقولون ما هو قريب منهم. إضافة إلى ذلك، ينبغي عدم الانطلاق من أية مقدمة كانت، بل من تلك المقبولة عند جماعة محددة، كالقضاة مثلاً، أو ما هو ذو مصداقية عندهم، وذلك لأنه في هذه الشروط يكون كلام الخطيب واضحاً للجميع أو الأغلبية. كما يضاف إلى ذلك أنه ينبغي ألا تستخلص النتائج من المقدمات الضرورية فحسب، بل كذلك من المقدمات التي تكون صادقة أغلب الأحيان.

لذلك يؤكد أرسطو أن من الضروري على الخطيب أن يقوم أولاً بعملية بحث يجمع خلالها كل المعطيات المتعلقة بالموضوع، أو بعضها على الأقل. لأنه إذا لم تتوفر على أي من هذه المعطيات، لن يكون لدينا شيء نستخلص منه النتائج [٨٩].

وأن أهم طرق الاختيار بين المعطيات هي المواضع أو ما تسمى (مواضع الضمائر)، ويؤكد أنها تقدم تقريباً كل ما هو مفيد وضروري في كل جنس من أجناس الخطابة. ولم يقف أرسطو عند هذا الحد بل أنه ميز بين (المواضع التفنيدية) و (المواضع البرهانية) التي يقصد بها المواضع التي تثبت وجود شيء أو عدم وجوده، كما أنها تستخلص أمراً انطلاقاً من أفعال معترف بها، بينما تستخلص التفنيدية أن هذه الأفعال غير معترف بها، وأخيراً المواضع (المغالطة).هذا وقد قدم أرسطو ثمانية وعشرين موضعاً، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: " موضع الأضداد" ومن أمثلته " إذا كانت الحرب هي علة الشرور الحاضرة، فنحن في حاجة إلى السلام لإصلاحها"(٩٠). ومنها كذلك موضع الأكثر والأقل، ومن أمثلته: "إذا كان الآلهة أنفسهم لا يعرفون كل شيء، فبالأحرى أن يكون الناس"(٩١). ومنها أيضًا: "موضع إعتبار الزمان" ومن أمثلته: "لو كنت طلبت منك، قبل القيام بالفعل، أن تعطيني تمثالا في حال نجاحي، كنت قد أعطيتني إياه، فهل ترفض الآن وقد نجحت"(٩٢).

ب- المواضع الخاصة لدى أرسطو.

وهي التي تبقي مرتبطة بمجال خاص هو الذي تستخدم فيه، وفي ذلك يقول ارسطو: "وهناك مواضع خاصة مستمدة من قضايا خاصة بكل نوع نوع أو جنس جنس من الأشياء، فهناك مثلا قضايا تتعلق بالأخلاق لا تفيد في التزويد بنتائج خاصة بالفيزياء، وهذا الأمر يصح في كل الأحوال. والنوع الأول من المواضع لن يجعل المرء أقدر على فهم صنف معين من الأشياء، لأنه لا يتناول أموراً بعينها، أما عن المواضع الخاصة، فإنه كلما كان الإنسان أنجح في اختيار القضايا، يكون أقدر على أن ينتج – لا شعورياً – علماً مختلفاً عن الجدل والخطابة، فقد نجح (كذا) المرء في تقرير المبادىء المطلوبة، ولكن علمه لن يعود بعد جدلاً أو خطابة، بل علم (كذا) تنتسب إلية المبادىء المكتشفة على هذا النحو "(٩٣).

ومن هنا أوضح أرسطو أن (الإيتوس) نفسه، أي الثقة التي يوحي بها الخطيب، يجب أن يكون صنيعة خطابة . وبتعبير آخر ليس المهم الطبع الذي يملكه قبلا، والذي يعلمه لسامعون، بل هو ذاك الذي يخلقه بنفسه، ذلك أن اليونانيين القدماء لم يكن لديهم صور الخلق من العدم exnihilo ويظنون أن كل ابداع إنما يحدث من جهة إنطلاقا من مواد معطاه (المواضع الخارجية) ومن جهة أخرى من قواعد أكثر أو أقل صرامة (المواضع الداخلية)، لكنهم يظنون أيضاً أن خالقية وإبداعية الخطيب، بعيداً عن أن تضمحل وتتلاشى، لابد وأن تكون ثمرة ممارسة وتعليم.

ثانيًا: الأسلوب والإلقاء والترتيب في النسق الخطابي الأرسطي.

بدأ أرسطو مقالته الثالثة من كتابه الخطابة بمقدمة أشار في بدايتها إلى الأقسام الثلاثة التي ينبغي أن تتطرق إليها صناعة الخطابة، وهي الإبداع في وسائل الإقناع، والأسلوب والترتيب. حيث يقول " ثلاثة أمور تحتاج إلى إهتمام خاص فيما يتعلق بالقول، الأول هو مصادر الأدلة، والثاني الأسلوب والثالث ترتيب أجزاء القول"(٩٤).

ثم توقف للحديث عن أهمية البلاغة أو، "الأسلوب والإلقاء" في الخطابة، وضرورة تطرق صناعة الخطابة لهما، مما يعني أنهما وجهين لعملة واحدة عنده، مؤكداً أنه: "لا يكفي أن يعرف المرء ما يجب أن يقوله، بل عليه أيضاً أن يعرف كيف يقول"(٩٥).

وعلى هذا الأساس فسوف نتناول تحليله للأسلوب والإلقاء والترتيب فيما يلي.

(١) ماهية الأسلوب والإلقاء في النسق الخطابي الأرسطي.

– يرى أرسطو أن ترتيبه للأقسام الثلاثة سالفة الذكر، التي يجب أن تتطرق إليها صناعة الخطابة هو الترتيب الطبيعي للأشياء، ويزيد الأمر بقوله: "وأول ما أهتممنا به كان بالطبع ما يأتي أولاً بالطبع، أعني كيف نحدث الإقناع إستناداً إلى الوقائع نفسها، والثاني كيف نرتبها في أسلوب، والثالث الإلقاء "(٩٦) لكن ما هو الأسلوب الذي يقصده أرسطو هنا؟

أ– ماهية الأسلوب لدى أرسطو.

أن البلاغة في القول أو الأسلوب بالمعنى التقنى، هي تحرير الخطاب. ويقول شيشرون " أنها من بين أجزاء الخطابة الأربعة هي الخاصة بالخطيب، الجزء الذي يعبر فيه عن نفسه كخطيب "(٩٧).

وتتحد ماهية الأسلوب عند أرسطو من خلال المزايا الرئيسية التي يجب أن يتسم بها في الخطابة وهي الوضوح اللفظي المناسب. ويعني به ألا يكون وضيعاً أو عالي المستوى، وعندة أن ما يجعل الأسلوب واضحاً هو "الكلمات الملائمة الشائعة والإستعارة.... إنها الكلمات الوحيدة التي يستخدمها كل الناس، لأن الناس جميعهم حين يتكلمون يستعملون الإستعارة علاوة على الكلمات الملائمة الشائعة. فمن البديهي إذن أن المرء إذا أتقن إستعمالها، سيكون للأسلوب غرابة، لكنها خفية، وسيكون واضحاً. وهنا تكمن، كما قلنا، قيمة الكلام الخطابي (٩٨).

هذا وينبغي أن تكون الإستعارات والنعوت متلائمة مع موضوع الخطبة، فإذا أردنا الرفع من قيمة شيء علينا أن نستمد الإستعارة مما هو أفضل، ومما هو أسوأ أن أردنا أن نقدح فيه، فمثلاً إذا قصدنا إلى الرفع من قيمة التسول قلنا: "أن من يتسول يطلب، وإن كان غرضنا الحط من قيمة الطلب قلنا، أن من يطلب يتسول"(٩٩).

ولا يكل أرسطو من ضرورة تنظيم الكلمات المستخدمه في الجمل والإستخدام الضئيل للمصطلحات العامة والمجردة وتحاشي الغموض في تعبيرات الكلمات، فالاختيار اللائق للكلمات يمثل دوراً عظيما في تكوين الاسلوب وخاصة ما تعكسه هذه الكلمات من التأثيرات التي ترجع إللى وحدتها معاً .(sSunthesi (١٠٠

ويطالب أرسطو في التأليف – كما في اختيار الكلمات – بملاحظة التلاؤم To propon، فالتعبير يجب أن يلائم طبيعة الفكرة المختارة والتأثيرات العاطفية المقصودة وشخصية الخطيب أيضاً ككل، ويؤكد على أهمية أستخدام طريقة النطق اللائقة بمنزلة أو عمر أو جنسية خطيب (١٠١).

ويتحدث أرسطو عن النثر الخطابي الفني فيوضح أنه يعتمد في تأثيراته على وسائل هامة، ومن بين هذه الوسائل التشبيه Mctaphora وهو واحد من المصادر الرئيسية التي يعتبرها تضفي السحر على الأسلوب (١٠٢).

كما يضع الايقاع Rhythmos كأحد هذه الوسائل ويعتبر الأسلوب الخالي منه غير محدد ولا نهائي، ولذلك يوصي به على أعتبار أن الأسلوب الخطابي أيضاً يتطلب التناغم. وليس الوزن، وأوصى بصفة خاصة بإستعمال وزن البيان لأنه يرى أن هذا لوزن هو أفضل الأوزان ملائمة للنثر الخطابي (١٠٣).

وفي معرض حديثه عن الإيقاع الناشئ من شكل الجملة يحدد أرسطو نوعين لأسلوب النثر : الأول الأسلوب الحر أو المتصل، ويصفه بأنه أسلوب قديم يتركب من جمل في ملسلة متصلة معا بعدد من الأدوات الرابطة، ولذلك، فهو غير ممتع بسبب إفتقاده لحدود، لأن الناس يرغبون في أن تكون النهاية مرئية عندهم (١٠٤).

والثاني الأسلوب المسجوع أو الأسلوب الدوري، الذي ينقسم إلى أدوار، والدور جملة لها بداية ونهاية في ذاتها، ولها إمتداد تسهل الإحاطة به بنظرة واحدة، وهذا الأسلوب ممتع لأنه متعارض مع اللا محدود، ولإن السامع يحس في كل لحظة أنه يحصل على شيء ما، ويضع أرسطو بعض القواعد المحددة له، بأنه يجب أن تستخدم فيه كل جملة مسجوعه فكرة كاملة وهدفاً محدداً وأن تكون الجمل المركبة غير طويلة ولا قصيرة حيث أن الجمل الطويلة تفقد القارئ أو السامع القدرة على متابعة الحديث، بينما القصيرة تجعل القارئ يتعثر في فهمها (١٠٥).

ب- قواعد نجاح الأسلوب بكل جنس لدى أرسطو.

بعد أن تحدث أرسطو عن ماهية الأسلوب بصفة عامة، انتقل بعد ذلك لبيان المصادر التي تاخذ منها العبارات جمالها. منطلقة في ذلك، أن التعلم يكون ممتعاً إذا كان سهلاً، فالكلمات تعني شيئاً بعينة إذا كانت تخضع لعدة قواعد، ولعل أولها (كما سبقت الإشارة) قاعدة الملائمة: حيث ميز أرسطو في الأسلوب ثلاثة أجناس – النبيل (الرصين)، والبسيط (المنظم)، والممتع (المتوسط) الذي يستحضر النكتة والمزح.

والخطيب القدير من يتبنى الاسلوب الذي يلائم موضوعه: فالاسلوب النبيل يصلح للتأثير (التهييج) خاصة في الختم، والبسيط يصلح للإخبار والتفسير (الإعلام) خاصة في السرد والإثبات، والممتع يصلح للإرضاء (الإمتاع) خاصة في الإستهلال والإستطراد. (١٠٦)

الأسلوب	الهدف	الدليل	لحظة الخطاب
النبيل = الرصين بسيط = منظم ممتع = متوسط	التاثير = التهييج التفسير = الإعلام الإرضاء = إمتاع	الباتوس اللوغوس الإيتوس	الختم (الأهواء) الإستطراد السرد الإثبات،التلخيص الإستهلال، الإستطراد

يضاف إلى الشكل التوضيحي السابق، ما أكده أرسطو على ضرورة أن يكون لكل فرع من فروع الخطابة الأسلوب المناسب له، حيث يصف أسلوب الخطابة القضائية بأنه يجب أن يكون أكثر الأساليب سهولة وبساطة، على الرغم من تأكيده على الدقة والإتقان، وأن يعتمد على الخدع الخطابية ويعطي المجال للتأثيرات العاطفية على جمهور سامعية، أما أسلوب الخطابة الإستشارية (السياسة) فيجب أن يحتوي على الوسائل التي يستخدمها من يرسم بمنظار skiagraphiai وأن يعطي المؤثرات المطلوبة عندما يقدم طلباً، وتكون تلك التأثيرات خالية من الصقل والإتقان العالي واللمسات لممتعة التي بوجودها تقل التأثيرات الحقيقية لموضوع الاسلوب. أما أسلوب الخطابة الحفلية فيصفة بأنه يجب أن يكون أسلوباً محدداً وقادراً على اللمسات الرقيقة والدقيقة ويعبر عن كل الأشكال المناسبة للشعور، وأن تكون مادته أكثر تنميقاً من أسلوب الخطابة القضائية وأقل تأثيراً من مادة أسلوب الخطابة الاستشارية (١٠٧).

والقاعدة الثانية هي قاعدة الوضوح: وهي تعني بتكييف الأسلوب مع السامع، لأن الوضوح "نسبي" فما هو واضح عند جمهور مثقف يمكن أن يبدو مستغلقاً غامضاً عند من كان أقل ثقافة، وطفولياً عند المختصين وأن يكون الأسلوب واضحاً، معناه أن يكون في مستوى ومتناول سامعه الواقعي [١٠٨].

وتتعلق **القاعدة الثالثة** بالخطيب نفسه، الذي يجب أن يظهر ذاته شخصياً في الخطاب، ويكون متلوناً، ويقظاً، وحركياً، مفاجئاً، وفكها أو متوداً، وهنا يقسم أرسطو الأسلوب الشفوي إلى ضربين: أحدهما يعبر عن الأخلاق (الإيتوس) والثاني عن الإنفعالات (الباتوس)، واعتبره أقرب إلى الفعل المسرحي، في حين أن الأسلوب الكتابي أدق. وإذا قاربنا بينهما، بدت لنا الأقوال المكتوبة ضيقة في المناقشات، أما خطب لخطباء فإنها تبدو بين الأيدي (أي عند القراء) هزيلة، حتى لو كانت قد أحدثت أثراً جميلاً لدى إلقائها، لأن مكانها الحقيقي هو في المناقشات، ولهذا السبب عينه فإن الأقوال الموضوعة للتأثير الخطابي إذا إنتزع هذا منها لا تحدث نفس الأثر وتبدو ساذجة [١٠٩].

ج- ماهية الإلقاء لدى أرسطو :

إن الإلقاء هو تمام العمل الخطابي، والنطق بالخطاب. إنه أساسي بما هو لا يستطيع لخطاب النجاح دونه، فميزة الخطيب الأولى هي الإلقاء، ثم الثانية: الإلقاء، ثم الثالثة: الإلقاء ويعبر عن الإلقاء باليونانية hypocrisis (هيبوكريزيس)، وهو مفهوم كان يدل في البداية، قبل أن يأخذ معنى قدحياً، على تأويل العراف، ثم على تأويل الممثل، أي اللعبة المسرحية، حيث يتظاهر الممثل (شأن المنافق) بأحاسيس ما أحسها، لكنه يعلم ذلك، وجمهوره أيضاً. وبالمثل الخطيب: يمكن أن يعبر عما ليس يحسه، وهو يعلم ذلك، لكنه ليس يستطيع إعلام جمهوره به إلا بتدمير خطابه، أن الممثل الذي يجيد التظاهر فنان، والخطيب الذي يجيد التظاهر سيكون كذاباً.... إلا أن الخطيب الصادق ليس يستطيع ألا (يلعب) بقواعد شبيهة بقواعد الممثل، إذا هو تنازل عنها، إذا هو تخلى عن كل نفاق، فإنه قد يخون رسالته[١١٠].

على كل حال تتحد ماهية الإلقاء عند أرسطو، من خلال طريقة إستعمال الصوت، ليكون مكيفاً مع كل نوع من الإنفعالات، ومتى يكون مرتفعاً أو منخفضاً أو متوسطاً، وكيف تستعمل نبراته أو "ما هو منها حاد أو ثقيل أو وسط، والإيقاع الذي يلجأ إليه في كل حالة"[١١١]. ويشير أرسطو إلى أنه ينبغي النظر فما يتعلق بالإلقاء في ثلاثة أمور : حجم الصوت وانسجامه وإيقاعه. وهنا يعلن موقفه المستهجن لاستعمال الإلقاء من اجل الإقناع. او يذهب إلى القول: "بواسطة ذلك (أي تلك الأمور الثلاثة) تقريباً يظفر بالجوائز في

المسابقات، ومثلما أن الممثلين، في هذه المسابقات لهم سلطة أكبر من الشعراء، فإنهم يفرضون أنفسهم في المجادلات بين المواطنين، بسبب النقص في الحياة السياسية. لكننا لا نتوفر على صناعة مضبوطة حول هذه المسائل، ويبدو أن هذا الأمر في الحقيقة، شيء عامي، ومع ذلك، في نطاق كون الخطابة موجهة بأكملها إلى الرأي، ينبغي إيلاء العناية للإلقاء، لا لأن ذلك أمر جيد، بل لأنه ليس لنا خيار آخر، لأن العدل، بالنسبة لخطبة، هو بالتأكيد ألا تكون منفرة ولا مغرية. فالعدل أن تتم المناقشة بالإعتماد على الوقائع فقط، بشكل يكون فيه كل ما ينزاح عن البرهنه زائداً، ومع ذلك فهذا البعد كما قلنا من قبل – قوى بسبب نقص السامعين"[١١٢].

على أن الانزياح الذي يقصده أرسطو في هذه الفقرة – هو ببساطة التصويرات بوصفها وسائل للتعبير عن الانفعالات المؤثرة، سواء أكانت تصويرات لفظية (مثل التورية والاستعارة) أو تصويرات فكرية (مثل التهكم والأمثولة)[١١٣] ولهذا قال عن الخطابة «إنها لأجل أن تبلغ عظمة أكبر تنزاع عما هو ملائم»[١١٤]. أي أن خطاباً ينزاح عن خطاب خر بحسب أهدافهما، وجمهورهما وأجناسهما الخاصة، هو ما يسمح لنا بتفسير قدرته على الإقناع، ومن ثم فإن التصويرة الناجحة هي التي تحد بإعتبارها تنزاح عن التعبير الدارج، بحيث تصبح أكثر تعبيرية وأكثر بلاغية.

د- ارتباط الأسلوب بالإلقاء محل اللقاء بين الخطابة والادب لدى أرسطو:

أن أرسطو حين ربط الإلقاء بالأسلوب كانت غايته تتعلق بإثارة الانفعالات الكامنة في النفس البشرية، فصناعة الخطابة ستكون غير كاملة إذا اكتفت بالإيجاد، أي بما يحتاجه الخطيب من حجج، بل عليها كذلك أن تقدم له ما به سيختار كيفية صياغتها، وهو يعلن ذلك بقوله «آن كل شيء في هذه الصناعة معد للتأثير ويستهدف السامع، لذلك لا أحد يتصرف بهذا الشكل لتعليم الهندسة..... وبالتالي حين يتدخل الإلقاء. تستنتج عنه نفس نتيجة فن التمثيل»[١١٥]. وفي موضع آخر يقول "إن موهبة التمثيل موهبه طبيعية ومستقلة عن الصناعة، لكنها تصبح مرتهنة بها بحكم ارتباطها بالأسلوب، لذلك فالموهوبون في التمثيل يحظون بالنجاح بدورهم، مثل الخطباء الذين يهتمون بالإلقاء، لأن الخطب المكتوبة تدين بقيمتها للعبارة أكثر من الفكرة"[١١٦].

فهذا الربط بين الإلقاء والأسلوب متعلق، إذن كما ذكرنا، بإثارة (الإيتوس والباتوس) وذلك ما يتضح من بقية المقالة الثالثة من كتاب أرسطو، الخطابة، إذا أنه سيوضح أن دراسة الأسلوب ارتبطت في بدايتها بالشعر والتمثيل (والتمثيل أو المسرح مرتبط بالشعر عند اليونان) اللذين يستهدفان (كما هو متعارف عليه) التطهير

بواسطة إثارة انفعالات معينة، ومن ثم انتقل الاهتمام بالأسلوب (أي الأسلوب الشعري المثير للانفعالات) إلى الخطابة، نظرا للنجاح الذي كان يحرزه الشعراء بفضله، وفي هذا يقول أرسطو: "لقد كان الشعراء أول من بدأوا في إثارة حركات النفس، وكان الامر طبيعياً، لأن التسميات هي محاكيات، والصوت عندنا هو أكثر أجزائنا قدرة على المحاكاة[١١٧].وذلك ما أنتج التمثيل وصناعات أخرى، لكن ما دام الشعراء يدينون بالنجاح الذي يتناولونه للاسلوب، حسب ما يبدو، وهم لا يقولون سوى تفاهات، فقد ستتبع ذلك أن الأسلوب الشعري جاء أولاً كأسلوب جورجياس مثلاً [١١٨].

وقد أبان أرسطو، بعد هذا التوضيح أن الأسلوب الشعري غير صالح للخطابة: "فلغة لنثر شيء ولغة الشعر شيء آخر، والجهلة فقط هم الذين يجدون أن من يستعملونه هم أحسن الخطباء ..... بل إنه يؤكد أن الشعراء اللذين يؤلفون التراجيديات لم يعودوا يستخدمون الأسلوب بنفس الشكل، فهم أصبحوا يتجنبون العبارات الغريبة عن المحادثة العادية، أو الكلمات التزينية.... فمن المثير للسخرية أن يتم تقليد هؤلاء اللذين لم يعودوا، هم أنفسهم، يستخدمون هذا الجنس من الأسلوب "[١١٩].

(٢) ماهية الترتيب في النسق الخطابي الأرسطي:

الترتيب هو جزء الخطابة الأقل تجريداً والأقرب إلى التطبيق العملي، مقارنة بالإيجاد (الموضع) وبالأسلوب، بل أن الترتيب هو نفسه موضع في حقيقة الأمر، أي خطة صنف نلجأ إليها لبناء خطابنا، ومن هنا انصب اهتمام أرسطو على هذا الجزء، كما كان السابقين عليه، إلا أنه تميز عنهم في أنه تحدث عن كل جزء من أجزاء الخطبة وفق ما ينبغي أن يكون عليه في كل جنس من أجناس الخطابة الثلاثة، وهو ما لم يفعله سابقوه الذين قصروا اهتمامهم على الخطابة القضائية، كذلك أعتبر أن الخطبة لا تتضمن سوى جزأين رئيسيين هما (العرض أو السرد diégésis) و (الحجاج أو (parekbasis) والاستطراد (prooimion) ينضاف إليها الاستهلال (pistis الإثبات والاختتام (epilogos) وهم عنده غير ضروريين دائما للخطبة، لأن التقسيم الذي صلح لكل الاجناس هو الذي يتكون من عرض للقضية المطروحة وحجاج عليها، وهذا ينسجم مع تصوره للخطابة بأنها صناعة استدلال بالأساس، بل هو منسجم مع تصوره العام للاستدلال والبرهنة [١٢٠] وهو ما يحدد ماهية الترتيب في نسقه الخطابي وفق هذا التقسيم الرباعي، والذي نعرضه فيما يلي:

أ- الاستهلال:

أن الإستهلال هو ما يبدأ به الخطاب، ووظيفته إنما هي وظيفة إتصالية: تكمن في جعل السامع منقاداً ومنتبهاً وعطوفاً [١٢١].

* **منقاداً:** معناه كون السامع في وضعية الأخذ والفهم، ولأجل هذا، يلزم عرض واضح ومختصر للمسألة التي سنبحثها وأيضاً للدعوى التي سنحاول إثباتها.

* **منتبهاً:** ضاعف القدامي من خطباء اليونان، بخصوص هذا الأمر ، طرقاً كثيرة عديدة، تميل إلى التضخيم، لأجل إستجلاب إنتباه السامع واستدامته، كأن يبدأ الخطيب مثلاً فيقول: "إنا ما سمعنا أو ما رأينا البتة أمراً أشد إذهالاً أو خطورة من هذا "، لكنه لو جعل طريقته في إستجلاب انتباه السامع (القاضي هنا) جملة أو عبارة واحدة يعيدها ويكررها كلما رام إستجلاباً للإنتباه، لأشعر ذلك (القاضي) السامع مثلاً بالسأم والملل، فيكون ذلك صارفاً للإنتباه لا جالباً له.

ومن جهة لاحظ أرسطو أن الاستهلال هو لحظة الخطاب التي تتطلب انتباها أقل، وبالمقابل، إنه في الاجزاء اللاحقة يميل الانتباه إلى أن يفتر فيلزم إنعاشه.

* **عطوفاً:** ها هنا يأخذ الباتوس كل أهميته – يقوم أحد المواضع الاكثر تداولاً على أن يعتذر المرء من عدم خبرته ويمدح موهبة الخصم [١٢٢].

والسؤال الآن: هل تنطبق خطابة الاستهلال على أجناس الخطاب الآخر ؟ يؤكد أرسطو أن الجنس المشاوري (السياسي) ليس في حاجة إلى الإستهلال البتة، لأن السامع يعلم قبلا طبيعة الموضوع أما في الجنس المشاهري (الإحتفالي) فإن الإستهلال يقوم على تحسيس السامع بأنه هو الآخر معنى بما سيقال، وعلى إشراكه، وقد شبه هذا الإستهلال بالمقدمة الموسيقية عند عازفي الناي:

ذلك أن عازفي الناي، إذا عزفوا لحناً جميلاً، وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنه لحنه (كذا). وينبغي في الأقوال البرهانية (أي الخطب الإحتفالية) أن يجري التاليف هكذا –

نبدأ بالتعبير عما نقصد ثم نسترسل وكل الخطباء يلتزمون هذه القاعدة"[١٢٣].

أما الاستهلال في الخطب القضائية فهو يشبه استهلالات الملاحم والمسرحيات، إذ يقدم لمحة عن الموضوع ليأخذ السامعون مسبقا نظرة عنه، وكي لا يبقي ذهنهم معلقاً، لأن ما ليس محدداً يضلل، فالاستهلال يمكنهم

من متابعة الخطبة، والوظيفة الجوهرية والأكثر ضرورة للاستهلال هي بيان الغرض من الخطية، لذلك يرى أرسطو أنه لا داعي له إن كان الموضوع تافهاً أو غير مهم..

ب- السرد أو العرض:

إن السرد هو عرض الوقائع الخاصة بالقضية، عرض موضوعي ظاهرياً، ومع ذلك موجه دائماً حسب حاجات الإتهام أو الدفاع، لكن أن هو لم يكن موضوعياً، وجب أن يبدو كذلك، وفي السرد يتقدم اللوغوس الإيتوس والباتوس ولأجل أن يكون ناجعاً فعلاً، وجب أن تتوفر فيه ثلاث صفات: الوضوح والإيجاز والمصداقية.

* **الوضوح:** كيف يكون واضحاً؟ بالمفاهيم المستعملة وبتنظيم الحكي معاً، الذي يحسن أن يكون متسلسلًا زمنياً، لكن باللجوء أحياناً إلى العود، إلى الإستحضار.

* **الإيجاز:** كيف يكون موجزاً؟ بإقصاء ما هو غير نافع، وجميع الوقائع السابقة على الموضوع وجميع الظروف التي ليست تزيده وضوحاً، مبيناً أن الكل يرجع حقيقة إلى هذا ....

* **المصداقية:** كيف يكون مصدقاً؟ بذكر الحدث مع أسبابه، خاصة إذا لم يكن الحدث محتملاً، وتبين أن الافعال تتوافق مع طبع صاحبها، مع كل ما يعلم عنه(١٢٤).

وماذا عن السرد في الاجناس الخطابية؟ يرى أرسطو أن السرد في الجنس المشاوري (السياسي) لا مبرر له لأن يكون، ما دام هذا الخطاب يقوم على المستقبل، ويمكنه في الأكثر أن يقدم أمثلة. والسرد في المشاهري (الاحتفالي) هو بالمقابل جد هام، حتى إننا ستفيد من تقسيمه حسب المسائل: الأحداث التي تشهد على الشجاعة ، وتلك التي تشهد على الكرم... إلخ، وفي الجنس القضائي، يجب إلتزام الوسطية في طول العرض وهو يقوم بالنسبة للمدعي على ذكر كل ما يساهم في إلقاء الضوء على الفعل، وما يؤكد وقوعه وإحداثه ضرراً أو ظلماً، وكذا أهميته، وعكس ذلك بالنسبة للمتهم، وينبغي إضافة ما يعطي المصداقية للمتكلم وما ينزعها عن الخصم، وكل ما يمكن أن يرضى القضاة : ومن وظائف العرض إبراز (الإيتوس)، وذلك ببيان غايته، لأن الطابع الأخلاقي يظهر من خلال الغاية التي نتوخاها من القضية. ومن طرق إظهار الأخلاق ذكر التصرفات المصاحبة لكل خلق، وكذا الإيحاء بأن كلامنا ليس صادراً عن تفكير وتأمل، بل عن اختيار مبدئي (١٢٥).

ج- الإثبات والحجاج:

ثم يأتي جزء واضح الطول وهو الإثبات، أي مجموع الأدلة، متبعا بدحض، أو بهدم لحجج المعارضة. ويرى أرسطو أنها ينبغي أن تكون ذات طابع برهاني، وأن تنصب على موضوع النزاع، ففي الخطب المشاورية يمكن أن يعترض الخطيب على عدالة ما يوصي به الخصم أو نفعه أو أهميتة، إن أقر بإمكانية حدوثه. وينبغي كذلك أن يرى ما إذا كان الخصم يكذب في أمور خارجة عن الموضوع، لان ذلك سيكون مؤشراً على عدم مصداقية ما يقترحه، ووسيلة الإستدلال المناسبة للجنس المشاوري هي المثال، في حين أن الضمائر هي الأصلح للجنس القضائي وذلك كما بينا في موضع سابق.

إلا أن أرسطو ينصح، في هذا الصدد، بعدم إيراد الضمائر متتابعة، بل يجب المزج بينها، لأنها تضر بعضها البعض، فهناك حدود ينبغي إحترامها في الكم. وينبغي جنب إيراد ضمائر عن كل شيء، وإلا سيقع المرء فيما يقع فيه بعض من يمارس الفلسفة الذين يستعملون ضمائر لإستخلاص نتائج معروفة وذات مصداقية أكثر من مقدماتها، إلا أنه في غمرة هذا (اللوغوس)، يلجأ الإثبات مع ذلك إلى (الباتوس) مستثيراً الشفقة أو النقمة [١٢٦].

ففي الجنس الاحتفالي، يتم التركيز على تضخيم الأحداث وبيان جمالها وفائدتها، ولا يحاجج فيها إلا إذا كانت غير قابلة للتصديق، أو حين تنسب إلى شخص آخر. بينما في الجنس المشاجري أو القضائي، ينبغي على الخطيب أن يقدم حججه أولاً، ثم ينتقل بعد ذلك لتفنيد أو دحض حجج الخصم إن كان هو البادئ بالكلام، فإن كان يرد على الخصم ، فعليه أن يبدأ بالكلام ضد دعوى الخصم بتفنيدها ومعارضتها بضمائر مضادة، خاصة إذا نالت موافقة المستمع، إذ مثلما أن العقل يبقى منغلقاً امام شخص مشكوك فيه ، فإنه لا يستجيب لخطاب يرى انه يعترض على شخص تحدث بشكل شاف، لذلك ينبغي تهيئة المجال في ذهن السامع للخطاب الذي سوف نلقيه ، وسينجح الخطيب في ذلك إذا بدد الانطباع الذي أحدثة الخصم، من هنا نصح أرسطو، بانه جب ألا يبسط الخطيب حججه الخاصة إلا بعد أن يهدم كل حجج الخصم أو أهمها أو أسهلها في التفنيد أو ما بدا أن المستمع قبلها [١٢٧].

د- الاستطراد والاختتام:

يرى أرسطو أننا نتوقع في الخطاب القضائي لحظة من "الاسترخاء" أي الاستطراد، وهو مقطع متحرك، نستطيع أن نضعه في أي لحظة من لحظات الخطاب، لكن ينبغي أن يكون ذلك بين الإثبات والاختتام،

ووظيفة الاستطراد، سواء كان حكياً أو وصفاً حياً، هي تسلية السامع، بغية استدرار شفقته أو إغاظته، ويمكن أن يصلح دليلاً غير مباشر، لما هو يصير استعادة تاريخية للماضي البعيد. أما الاختتام، فهو ما ينهي الخطاب. ويمكن أن يكون من جهة طويلاً ومنقسما إلى أجزاء متعددة، ويمكن أن يكون قصيرا مختصراً، وافياً للمطلوب، ومع ذلك حدد أرسطو للاختتام أربعة أهداف:

أ – أن تجعل السامعين مائلين إليك ومستائين من خصمك.

ب – أن تكبر أو تصغر الوقائع الأساسية.

ج – أن تثير الإنفعال المطلوب في نفوس سامعيك.

د – أن تنعش ذاكرتهم (١٢٨).

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الاختتام أنما هو اللحظة الممتازة حيث توصل الجوانب الانفعالية بالحجاج، وهذه هي روح الخطابة الأرسطية، والتي جعلت من أرسطو الأب لحقيقي لعلم الخطابة، حيث أن كتابه الخطابة ودشن ميلاد هذا العلم منذ أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا، بل ما يزال إلى اليوم منبع كل النظريات الخطابية المعاصرة.

الخاتمة:

تعقيب ومناقشة

١ – بدأ أرسطو نسقة الخطابي بتحديد العلاقة بين الخطابة والجدل من خلال علاقة التناسب، وهذا التناسب يكمن في كونهما معا صناعتين للاستدلال: الخطابة صناعة تكشف عن طريق الاستدلال أمام جمع من الناس (في المحكمة أو في مجلس الشعب أو في تجمع احتفالي) والجدل صناعة تكشف عن طرق الاستدلال أمام (محاور) في قضية كلية تعالج بواسطة سؤال وجواب، وبالرجوع إلى أوجه الشبه بينهما، والتي ذكرها أرسطو في المقالة الأولى والثانية من كتابه الخطابة، سنجد انها تتعلق جميعها بالاستدلال. وهذا ما يميز أرسطو عن سابقيه الذين لم يرقوا بالخطابة إلى مستوى صناعة، ولم يعالجوا سوى جزء يسير منها، لإن التصديقات هي الامور الوحيدة الداخلة في مجال الصناعة، وأن التصديق نوع من البرهان، لأننا نكون أكثر اقتناعا كلما افترضنا أن أمراً ما ، قد برهن عليه، وأن البرهان الخطابي هو ضمير ، والضمير بوجه عام، هو أقوى التصديقات الخطابية، كما أن الضمير نوع من القياس ، ولما كانت مهمة الجدل، ككل، أو أحد أجزائه، النظر في كل نوع من الأقيسة على نحو مماثل، فمن الواضح أن الأقدر على فحص مادة القياس وأشكاله سيكون هو الأقدر على الحجاج الخطابي، وهذا الاقتراح الارسطي في حقيقة الأمر أنما يشكل خطابة بديلة عن سابقيه، تقوم أساساً على الاستدلال العقلي الذي يشكل الضمير وسيلته الحاسمة.

٢– ليس النسق الخطابي الأرسطي، مجرد نسق مختصر موجه إلى التلقين التقليدي، بل كان أداة تندرج في سعير الحياة اليومية، بل السياسية للأثينيين. كانت السياسة عند أرسطو العلم الأسمى، لأنها تسعى إلى أسمى غاية وهي إسعاد كل الحاضرة أي كل لمواطنين، أما باقي العلوم فإنها تسمو وتنحط تبعًا لعلاقتها بهذا العلم الأسمى، ولأمر كانت الأجناس الخطابية التي اعتني بها أرسطو مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصناعة لخطابة، لأن الصناعة الخطابية قادرة وحدها على اتقاء الأضرار التي يمكن أن يسببها الاستعمال السيء للخطابة والتخلص منها ، فمعرفة أساليب السفسطة وسر الحيل الجدلية التي تمكن من الترافع لصالح ال (نعم) وال (لا) وال (مع) وال (ضد)

ضرورية للخطيب، لا من أجل استخدامها، بل لإحباط خدعها ، فمهمة الخطابة مهمة دفاعية إذن، الدفاع عن الحق والعدل، والدفاع عن المدينة ضد استغلال مؤسساتها الديمقراطية لأغراض دنيئة، ومن هنا كان تأكيد أرسطو على عدم صلاحية الاستدلال العلمي للخطابة، وهو في تأكيده هذا لا يقلل من شأنها، ولا

يربطها بجهل المستمع، بل بكل بساطة، لان القضايا التي تتداولها الخطابة هي قضايا خلافية يعجز الخطاب لعلمي عن حلها، قضايا لو كان للعلم جواب حاسم فيها لما طرحت للنقاش والتداول، لأن مجال الخطابة يتعلق بقضايا لا تخضع، في الغالب الاعم، لحقيقة ثابته يمكن البرهنة عليها بشكل علمي صارم، أو لا شيء يكون فيه أقل علمية من استلزام أجوبة علمية ، ومن هنا أيضاً كانت الخطابة لدى أرسطو قدرة أو كفاءة، أو ملكة، وليست (سلطة) كما كانت قبله، إنها قدرة عقلية أو نظرية مهمتها البحث والكشف عن وسائل الإقناع الكامنة في كل موضوع، وهو بذلك قد اعطاها طابعاً نظرياً سمى بها عن لطابع التجريبي الذي وسم محاولات تقعيدها قبله.

٣ – حدد أرسطو وسائل الاستدلال الخطابية الموضوعية في الضمير والمثال، وقد اعتبر الاول (قياساً) والثاني (استقراء) وليس هناك وسيلة موضوعيه أخرى غيرهما عنده، وإذا ضفنا إلى ذلك أن مشروع أرسطو في كتابه الخطابة، هو جعلها صناعة ليستكمل بها مشروعه الاكبر في دراسة جميع أشكال الاستدلال التي يمارسها العقل الإنساني (والذي نجزه في كتب: التحليلات الاولى والثانية والجدل) يمكن أن نصل إلى أنه كان يريد القول: إنه بدون التنظير لوسائل الاستدلال الموضوعية التي يشكل الضمير والمثال أسها، لن تقوم للخطابة قائمة باعتبارها صناعة، وأن الاستدلالات الانفعالية بدونهما تبقى ثانوية بالمقارنة مع هاتين الوسيلتين، وهو الامر الذي انجزه فعلا في كتابه الخطابة، إذ أن اهتمامه الأكبر انصب فيه على وسائل الاستدلال الانفعالية (الإيتوس – الباتوس) من منطلق الاستدلالات العقلية أو اللوغوس.

لذلك فإنه حين تحدث عن الإيتوس، تحدث عنه باعتباره وسيلة إقناع صناعية، صنعها الخطيب بغض النظر عن سمعته الفعلية، بواسطة خطابه الذي ينبغي أن وحي بأنه يتحلى بأخلاق معينة تدفع المستمع إلى منحه ثقته، لكي يكون مقنعاً، وحين نحدث عن الباتوس، تحدث عنه باعتباره وسيلة إقناع طبيعية، ملخصاً ذلك بأن هناك إقناع بواسطة السامعين حين يدفعون بواسطة الخطاب إلى الإحساس بانفعال ما، لأننا لا نصدر أحكامنا على نفس الشاكلة بحسب ما إذا كنا مملوءين غماً أو فرحا وداً أو كراهية.

٤ – وانطلاقا من هذا العرض لوسائل الإقناع الانفعالية، استخلص أرسطو أن التحكم فيها يتطلب القدرة على استعمال "القياس" والفهم الواضح لمجال الأخلاق والفضائل، وكذا مجال الاهواء والانفعالات، بمعرفة كل واحد منها وطبيعته ومن أين ينشأ وكيف (وليس كالسابقين الذين يثيرونها دون علم بماهيتها) ومن هنا لم يكن أرسطو متناقضاً مع نفسه حين أعلن إثارة الأهواء والانفعالات في خطابته لأنها عن علم ودراية بأحوال لنفس

الإنسانية وعنده أن عدم التعمق في الموضوع بأكمله ليس سوى ملامسة خفيفة له، أو بتعبير آخر، عدم قول أي شيء عنه تقريباً، وباختصار، فإن انعدام المنهج وغياب العمق هما في نظره، علتان جوهريتان تنزعان كل قيمة عن اعمال العقل.

٥- ومع هذا فإن أخطر الإنجازات الأرسطية في براري الخطابة، هي تلك المتعلقة بالجوانب الانفعالية وهي التي استأثرت بحيز كبير من كتابه الخطابة، حيث أضحت الجوانب الموضوعية أو اللوغوسية هي بمثابة دماغها، والجوانب الانفعالية بمثابة قلبها، كما أن الجوانب اللوغوسية تمثل حلقة ارتباط الخطابة بالمنطق وبالفلسفة وبالسياسة، في حين أن الجوانب الانفعالية تمثل الحلقة التي تربط الخطابة بالأخلاق والسياسة والسيكولوجيا .

ويكفي ما كشفة لنا هذا البحث عن الدور الخطير الذي لعبه أو يمكن أن يلعبه كل من الإيتوس والباتوس في الخطابة، إذ بإمكان الخطيب أن يعبث بنوازع المستمعين أو المتلقين، كيفما يشاء، فيتمكن من قلب العواطف والإختيارات من النقيض إلى النقيض لا سيما ونحن نعيش عصر الذكاء الإصطناعي، وفوران وسائل الإعلام وصناعة صور الناس والاشياء والأوهام، بل وعصر غسل الدماغ وطغيان الشعور بالحرمان أمام مغريات الغريزة، كل هذه الاوضاع يستطيع الخطيب أن يستغلها، ليس لإقناع المستمع وحسب، بل لكي يجعل منه دمية يعبث بها ويسخرها كيف شاء، يستطيع لخطيب، بإستغلال أوضاع الناس الإجتماعية والأيديولوجية والدينية والاسطورية ورغباتهم المقموعة وشهواتهم المكلومة أن يصنع منهم ما يشاء.

٦ – أول مشكلة اثارها هذا البحث هي مشكلة الصعوبة "المعجمية" المتمثلة في المعنى، لكم أسماء الحجج والتصويرات البلاغية: فهل يمكن مثلا الحديث عن المواضع لا عن الأدلة أو العكس، وعن المبالغة لا عن المغالاة وعن الإلقاء لا عن الاداء، وعن القدح بدل التهويل، وعن السرد بدل العرض؟ ولا شك أن كل حد من هذه الحدود وغيرها كثير في عالم الخطابة، يملك معنى مختلفاً قليلاً أو كثيراً عن الحد الذي يقابله أو يمكن ترجمته، لكن هل ذلك يعوض معناه الاصلي؟

فالموضع مصطلح مركزي في الخطابة الارسطية (كما ذكرنا في بحثنا هذا) لكن مفهومة يبقى ملتبساً، ويطرح تعريفه عدة إشكالات لم يتم الحسم فيها لحد الآن، ذلك أن أرسطو لم يقم بتقديم تعريف له، وكل ما ذكره عنه (كما عرضنا في هذا البحث) هو من قبيل العموميات، كاعتباره، عنصراً، أو أنه مجمع لعدد من الضمائر، من هنا، اختلف الباحثون في فهمهم "للموضع" (والذي سماه بعضهم باسم الإيجاد) وتعريفهم له،

فهو تارة مسكن أو مخبأ أو مركزاً أو مستودع توجد فيه حجج جاهزة، وتارة هو قضية أو حكمة أو مبدأ أو قانون أو قاعدة!!!

تحتاج الخطابة إذن إلى معجم تقني كالفلسفة والطب وعلم النفس، فهل يمكن أن تتضافر الجهود من أجل القيام بذلك؟

٧ – ينجم عن هذه المشكلة، مشكلة آخرى هي مشكلة الإنزياح (إنزياح المعنى المشتق بالنسبة إلى المعنى الحقيقي) وهي المتعلقة بالتصويرات الاسلوبية، التي برع فيها القدامى من مفكري وخطباء اليونان وعلى رأسهم أرسطو، فما الذي يميز بين التصويرات اللفظية مثل التورية والإستعارة، والتصويرات الفكرية مثل التهكم والأمثولة عندهم؟ وهل يجب تعريف التصويرات نفسها كانزيحات؟ ألا تستحق هذه الإشكالية بحثاً يبين لنا ماهيتها وأهدافها؟؟

٨– وما يقال عن مشكلة (الإنزياح) يقال أيضاً عن مشكلة (الإلقاء) أو مشكلة العلاقة بين الخطاب المكتوب والخطاب الشفوي: فلم يكن القدماء من خطباء اليونان يملكون أسلوباً خاصاً بالخطاب الشفوى حتى أرسطو لم يشر إلا إشارة بسيطة إلى ذلك، فهل يجب أن يكون مسهباً كي يتلافى نقص التذكر؟

٩ – أشار أرسطو في كتابة التحليلات الأولى إلى أن الضمائر قضايا شبيهة بالحقيقة أو من علامات: فهل دراسة العلاقة بين الصيغ والأشكال والأبنية التي تنطوي عليها اللغة، وما تعبر عنه من معان، وما تشير إليه من دلالات باعتبار اللغة وسيلة للتبادل الفكري والعاطفي، أي التعبير عن الأفكار والأشياء التي نريد أن ننقل معانيها إلى الآخرين، تؤلف دراسة أو نظرية للعلامات لدى أرسطو؟

١٠ – وأخيرا. هل دراسة العلاقة بين الشخص المتكلم واللغة التي يستخدمها (الإيتوس) باعتبار اللغة مجموعه عبارات منطوقة يستخدمها الافراد عند الكلام، معبرين بذلك عن أفكارهم في زمان محدد، وفي مكان معين، وفي وضعية اجتماعية معينة (الباتوس):

يمكن أن تؤلف دراسة عن علاقة الفرد أو الإفراد أو الإيتوس والباتوس باللغة؟ في إطار فلسفة اللغة لدى أرسطو؟

١١ – أعتقد أن الخطابة ماتزال إلى اليوم تتلمس الطرق التي توصلها إلى استعادة حقها وملكيتها على هذه الأدغال الشبيهة بالخطابية، وأعتقد أن هذه المقومات تعيش اليوم حالة تردى في مجالات التواصل الاجتماعي الإشهاري والدعائي، والتلقين التربوي وحتى التفاوض السياسي.

أليس تعليم المرء التأليف حسب خطة، والربط بين حججه ربطاً منسقاً ناجحاً، ومراقبة أسلوبه، وإيجاد الصيغ المناسبة، والتصويرات الصحيحة، والحديث حديثاً واضحاً متزناً، خطابة بالمعنى الذي قدمه لنا أرسطو في نسقة النظري الخطابي المتكامل؟ كم من مرء نراه اليوم لا يعرف هذه المبادئ التكوينية التي أرساها القدماء وعلى رأسهم أرسطو، وحتى إن عرفها لا يحترمها ولا يعطي لها بالاً، حتى وصل الأمر عنده وعند غيره إلى أخطاء فادحة يندى لها الجبين، بدءًا من الكتابة بطريقة غير صحيحة، وتافهة، ومبالغ فيها، والخلط بين الدعوى والحجة، والعرض بطريقة مهلهلة، والاحتماء وراء كلام معاد ومكرر، ألا يدل ذلك على انفصال هذا المرء أو ذلك عن الآخرين وحتى عن نفسه؟ هل توجد ثقافة دون تكوين خطابي؟ أليس تعلم فن إجادة القول، إنما هو في الحقيقة تعلم لمعنى الوجود أيضاً؟ أما آن الأوان على ضوء المعطيات التي نشاهدها اليوم إلى إعادة الاعتبار للخطابة؟ ووضعها ضمن مقرراتنا الدراسية؟

١٢ – كان التعليم لدى القدامى يملك خطابة إبداع، والتعليم الكلاسيكي خطابة بلاغة، وتعليمنا اليوم يملك خطابة ترتيب، فهل نجد خطابة الترتيب، تلك، موجودة ضمن البرامج الخاصة التي تحظى بها بعض أقسام كليات جامعتنا الآن : بحيث نجد بالنسبة لأقسام الفلسفة، برنامجاً للخطابة يمكن وضعه تحت أي مسمى تقني (باعتبارها صناعة) على أن يتضمن الخطابة والأخلاق والسياسة وعلم النفس (باعتبار الترابط لشديد بينهم كما أظهر هذا البحث) ويقوم السادة اعضاء هيئة التدريس في أقسام الفلسفة واللغة العربية وعلم النفس بأداء ما هو مطلوب منهم في هذا البرنامج، على أن لا يختزل البعض الأسلوب أو البلاغة، باعتبارها هي الخطابة (وهذا خطأ فادح يقع فيه غير الراسخون في العلم) لان البلاغة هي جزء من أجزاء الخطابة، كما أثبتنا في هذا البحث من خلال ترابط النسق الخطابي الأرسطي.

الهوامش والمراجع

١. لقد كان البلاغيون العرب القدماء يضيفون الى "خطابة" لفظة علم أو فن أو صناعة، فيقولون : علم الخطابة أو فن الخطابة أو صناعة الخطابة ، وذلك تفادياً للخلط بين عمل الخطيب وعمل دارسه ، يقول حازم القرطاجني : لما كان علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة ، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع، وكان لكلتيهما أن تخيل أو تقنع في شيئ من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني ، وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيئ أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده..، وجب أن تكون أعرق المعاني في الصناعة الشعرية ما اشتدت علقته بأغراض الإنسان ، انظر / حازم القرطاجني: مناهج البلغاء وسراج الأدباء – تقديم وتحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي–ط٣–بيروت–١٩٨٦– ص٢٠–١٩.

٢. نسبة الى إيسوكراتيس (٣٣٨–٤٣٦ق.م) أعظم معلم خطابة، وصاحب مدرسة ونظرية خطابية. وقد عرضنا له في بحث سابق تحت عنوان "الاتجاهات التنظرية لفن الخطابة عند مفكري اليونان (في القرن الخامس حتى مطلع القرن الرابع ق.م)*

٣. Atkins (J.W.H): Library criticism in Antrquity, Vol.I. London 1934. P.133.

٤. P.Ricour: La Metaphore vive, Paris, 1975, p.p 13.14

٥. أرسطو : الخطابة– ترجمه عن اليونانية وشرحه وقدم له /عبد الرحمن بدوي– دار الرشيد للنشر – بغداد ١٣٥٨)– ١٩٨٠ ب) ص٢.

٦. المصدر السابق: (١٣٥٥ أ) ص٢٧

٧. Olivier Reboul: Introduction a la rhetorique, Quadrige, PUF –2011, p. 198.

٨. أرسطو: الخطابة – ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي – ص١٩٣

٩. حربي عباس عطيتو: اتجاهات التفكير الفلسفي عند اليونان (فلسفة أرسطو) – دار المعرفه الجامعية – الإسكندريه – ٢٠١٩ ص٩

١٠. أرسطو: الخطابة – ترجمة / عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٥ب) ص ٢٩

١١. الفيروز أبادي: القاموس المحيط – ج٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩ – (باب العين فصل القاف) ص ٧٣

١٢. حازم القرطاجني : مناهج البلغاء وسراج الأدباء – مصدر سابق – ص٣٥

١٣. المصدر السابق ص٣٦.

١٤. ابن سينا: كتاب المنطق – تحقيق/ محمد عثمان – المجلد الثالث – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ٢٠٠٨ – ص٢٩.

١٥.بليز باسكال (١٦٦٢-١٦٢٣) فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء وبأعماله الخاصه بنظرية الاحتمالات في الرياضيات كما استطاع بسكال أن يسهم في إيجاد اسلوب جديد في النثر الفرنسي بمجموعته الرسائل الريفيه انظر

BLAISE PASCAL: L'Art de persuader. Librairie A.G. Nizet.paris. 1992. p.15

١٦. أرسطو: الخطابة ترجمة / عبد الرحمن بدوي – المصدر السابق ص٢٣ ومما هو جدير بالذكر أن –د/عبد الرحمن بدوي قد تبنى في ترجمته نفس الترجمه التي ذهب اليها [ابن رشد] في تلخيصه لخطابة أرسطو حيث قال :"ان صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل" لذلك فقد اثرنا أن نتبنى ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي للخطابه" ليس لأنها ترجمه عن النص اليوناني لأرسطو فحسب بل لانها تسترشد كذلك بترجمة اكبر شراح فلسفة أرسطو في العصور الوسطى بلا منازع الا وهو [ابن رشد] هذا ناهيك عما يعتري الترجمه العربيه القديمه من نقص وغموض في العبارات لسنا ندركه والتي بدأت الترجمة فيها " أن الريطورية ترجع الى الديالقطيقيه" وكذلك الحال بالنسبه للنص الانجليزي المنقول عن اليونانيه والذي مثل فيه الرابط بين كلمة الخطابة والجدل كلمة "counterpart" والتي تعني "تناظر" اما الترجمه الفرنسيه للخطابه ل "بيير شيرون" فقد جاءت موافقه لترجمة ابن رشد في كثير من المواضع وكذلك لترجمة د/ عبد الرحمن بدوي حيث أن الرابط بين كلمتي الخطابة والجدل هو "Antistrophos" ويعني تناسب انظر / ابن رشد: تلخيص الخطابة. تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي _ وكالة المطبوعات الكويت١٩٧٩. وكذلك أرسطو طاليس: الخطابة – الترجمه العربيه القديمه حققه وعلق عليه د/ عبد الرحمن بدوي – دار القلم بيروت – ١٩٧٩ – انظر كذلك

Aristoteles: The Rhetetoric of Aristotle Atrasnlation by sir Richard claverhouse jebb – edited with an introduction and with supplementally notes by John Edwir sandys– Cambridge – perss 1909

١٧. Aristote: rhetorique. Tred. p. chiron, GF Flammarion – paris 2007. p. I

١٨. أنظر / افلاطون محاورة جورجياس: ترجمة / محمد حسن ظاظا – مراجعة د/ علي سامي النشار – الهيئه المصريه العامه للتاليف والنشر –١٩٧٠ –[٤٦٥– ب].

١٩. أرسطو: الخطابة ترجمة / عبد الرحمن بدوي – المصدر السابق – (١٣٥٤– أ) – ص٢٣.

٢٠. المصدر السابق (١٣٥٥ – ب) – ص٢٥.

٢١. المصدر السابق (١١٣٥٦) – ص٣٠.

٢٢. .ch. perelman: justice et raison. presses universitaire de Bruxell 1977. p. 140

٢٣. Ibid.p. 154

٢٤. المصدر السابق – (١٣٥٤ أ) – ص٢٣،٢٤.

٢٥. المصدر السابق –ص٧

٢٦. أرسطو كتاب التحليلات الاولى – ضمن كتاب " منطق أرسطو " حققه وقدم له / عبد الرحمن بدوي – الجزء الاول – وكالة المطبوعات – لكويت – ١٩٨٠– ص٣١٣.

٢٧. المصدر السابق – ص ٣١٣.

٢٨. المصدر السابق – ص٣١٤

٢٩. أرسطو: الخطابة – ترجمه / عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٥ أ) ص ٢٧ ،٢٦

٣٠. أرسطو : كتاب الجدل (الطوبيقا) – ضمن كتاب (منطق أرسطو) حقق وقدم له / عبد الرحمن بدوي – الجزء الثاني – وكالة المطبوعات – الكويت – ١٩٨٠ – ص ٤٨٩ ،٤٩٠.

٣١. أرسطو: الخطابة – المصدر السابق – (١٣٩٨ ب) ص ١٧٣.

٣٢. المصدر السابق – (١٣٩٥ ب) ص ١٦٢.

٣٣. المصدر السابق – ص ١٦٣.

٣٤. المصدر السابق – (١٣٥٦ ب) ص ٣١ وما بعدها.

٣٥. الجرجاني: التعريفات – وضع حواشية وفهارسة / محمد باسل عيون السود – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠ – ص ٢٠١

٣٦. عبد المنعم الحفني: المعجم الفلسفي – الدار الشرقية – القاهرة – ١٩٩٠ – ص ٣٠٣

٣٧. عاطف العراقي: نحو معجم للفلسفة العربية (مصطلحات وشخصيات) – مكتبة جزيرة الورد – القاهرة – ٢٠١١ – ص ٣٢

٣٨. أرسطو: الخطابة – ترجمة / عبد الرحمن بدوي (١٣٥٧ ب) ص ٣٥.

٣٩. المصدر السابق – ٣٥٣. نفس الفقرة.

٤٠. المصدر السابق.

٤١. المصدر السابق.

٤٢. المصدر السابق – (١٣٩٤ أ) ص ١٥٧ ،١٥٦

٤٣. Aristot: Rhétorique. trad. p. chiron. (1356a) p. 125

٤٤. olivier Reboul: introduction à la rhétorique. p.76

٤٥. رسطو الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٦ أ) ص

٤٦. Clark (D.L) : Rhétoric in Greco. Roman Education – Newyork – 1955. p. 44.

٤٧. Ibid p. 47

٤٨. أرسطو: الخطابة – ترجمه / عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٨ ب) ص ٣٧

٤٩. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. p. 89

٥٠. أرسطو: الخطابة – ترجمة / عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٦أ) – ص ٣٠

٥١. Aristote : Ethique à Nicomaque. ed. liver de poche. 1992. p. 88

٥٢. ch. perelman et h. olbrechs. tyteca: logique et Rhétorique – presses un – de france. 1952. p. 30

٥٣. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. p. 206

٥٤. ibid. p. 207

٥٥. Michel Meyer: introduction, in Aristote, Rhétorique. Paris. 2009. p. 32

٥٦. غوستاف لوبون (١٩٣١ – ١٨٤١) طبيب ومؤرخ فرنسي عمل في أوروبا وأسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا وعنى بالحضارة الشرقية، من أشهر أثاره : حضارة العرب وحضارة الهند والحضارة المصرية، وحضارة العرب في الأندلس، وسر تقدم الأمم، وروح الإجتماع، الذي كان إنجازه الأول، أما بالنسبة لكتابة " سيكولوجية الجماهير" فلا نبالغ حين نقول أن الكتاب يعد دليلاً مرجعياً استخدمه الحكام وقادة الحركات الجماهيرية، وخير مثال على ذلك، الجماهير الغفيرة التي وظفها "هتلر" في الحرب العالمية الثانية، ورغم مرور ما يقارب ال ١٥٠ عاماً على تأليف الكتاب إلا أنه ما زال محافظاً على زخمه وحضوره بين أوساط المثقفين، حيث قدم الكاتب إجابات واضحة للعديد من الأسئلة المثارة حول التجمعات الجماهيرية مثل، كيف تتهيج الجماهير؟ وكيف تتكون الجماعات الثورية في الأصل؟ ما الذي يصهر الجماهير نحو هدف واحد؟ أهي عقائد معينة أم الدين بشكل رئيسي؟ ما دور الزعيم أو القائد في الثورات؟ والأخطر من ذلك هل الجماهير عاقلة وواعية بالطبيعة وديمقراطية أم متهيجة وثائرة؟ أنظر / غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير – ترجمة وتقديم / هاشم صالح – دار الساقي بيروت –١٩٩١

٥٧. ماركوس فابيوس كانتيليان، وفي بعض المراجع كينتيليانوس (٩٦ – ٣٥م) من أبرز الخطباء الرومان، وتقوم خطابته على (محاكاة) خطباء اليونان وخاصة أرسطو في نظريته للخطابة. أنظر /

Quintilia: institutio oratoria edited and translated by H.E Butler. 4 (voli) London – 1998 – P7

٥٨. ibid. p. 9

٥٩. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – (١٣٥٦ أ) ص٣٠.

٦٠. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. (1355 b)

٦١. أرسطو: كتاب الجدل – ضمن منطق أرسطو – الجزء الثاني – تحقيق وتقديم د / عبد الرحمن بدوي – مصدر سابق – ١٠٥ أ ص ٥٠٧.

٦٢. ch. perelman: I, empire Rhétorique. Rhétorique et argumentation. librairie philosophique .j. vrin. Paris – 1977– p. 85

٦٣. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. (1356 a). p. 127

٦٤. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي ص٣٠

٦٥. olivier Reboul: introduction à la Rhétorique. p. 6

٦٦. عاطف العراقي: نحو معجم للفلسفة العربية. مصطلحات وشخصيات – مرجع سابق – ص ٢١ ،٢٠.

٦٧. أرسطو الخطابة: ترجمة: عبد الرحمن بدوي. (١٣٥٨ ب) ص ٣٧ / ٣٦

٦٨. المصدر السابق – (١٣٥٤ أ) ص ٢٤

٦٩. Aristote: Ethique de Nicomaque. p. 20

٧٠. لويس شيخو: علم الأدب في علم الخطابة – الجزء الثاني – مطبعة الأباء اليسوعيين – بيروت – ١٩٢٦– ص ١٤٥.

٧١. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – (١٤١٣ ب)، (١٤١٤ أ) ص ٢٣٢ ،٢٣٠.

٧٢. المصدر السابق – (١٣٥٧ ب) ص ٣٤.

٧٣. المصدر السابق – (١٣١٨ أ) ص٦٧.

٧٤. المصدر السابق – (١٣٩١ب) ص ١٤٩.

٧٥. Aristote: Rhétorique: trad. p. chiron. p. 140

٧٦. ibid. p. 141

٧٧. ibid. p. 141

٧٨. ibid p. 181

٧٩. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – (١٣٨١ أ) – ص ١١٤

٨٠. المصدر السابق: (١٣٧٨ أ) ص ١٠٤ ،١٠٣

٨١. المصدر السابق: هامش ص ١١٣

٨٢. Aristote: Rhétorique. Trad. p. chiron (1378 a) p. 183

٨٣. ترجع تسمية الأدلة إلى خارجية وداخلية إلى (أوليفي رويول) والتي هي كما في اللغة اليونانية القديمة اتكنای atechnai أي الخارجة عن الخطاب وتلك التي هي انتكناي entechnai أي الداخلة في الخطاب وقد ترجمت في القرن السابع عشر بالطبيعة والصناعية أنظر

Olivier Roboul: Introduction à la rhétorique

٨٤. أرسطو: الخطابة – ترجمة / عبد الرحمن بدوي (١٣٥٥ ب) ص ٢٩

٨٥. olivier reboul. p. 79

٨٦. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي. (١٣٥٨ أ) ص ٣٥

٨٧. المصدر السابق: (١٣٥٨ أ) ص٣٥.

٨٨. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. (1396 a) p. 373

٨٩. ibid. (1396 a) p. 372

٩٠. أرسطو: الخطابة – عبد الرحمن بدوي – (١٣٩٧ أ) ص١٦٦.

٩١. المصدر السابق – ص١٦٧

٩٢. المصدر السابق – ص١٦٧

٩٣. المصدر السابق – ص٣٦

٩٤. المصدر السابق – (١٤٠٣ ب) ص ١٩٣.

٩٥. المصدر السابق – ص ١٩٣

٩٦. المصدر السابق – ص١٩٣

٩٧. cicer: Brutus, orator. editd and transleted by G.L. Hendrickson AND H.M. HABBELL. LONDON. 1998. P. 61

٩٨. Aristote: Rhétorique. trad. chiron p. (1404b). p 432

٩٩. ibid. p. (1405 a) p. 43

١٠٠. ibid. p (1459a) p. 122

١٠١. ibid. p. 199

١٠٢. ibid. (1407a). p. 443

١٠٣. مما هو جدير بالذكر أن وزن البيان يتركب من ثلاثة مقاطع قصيرة، أو مقطع طويل، ويعد ثراسوماخوس الكورني، أول من أستخدم هذا الوزن، ويرى أرسطو أن هذا الوزن أكثر الأوزان التي تناسب الأسلوب الخطابي لأنه يتصف بالشكل الشعري عند استخدامه في النثر، كما أنه يجعل من النثر أقل صنعه أنظر / ibid. (1408b). P 458.

١٠٤. ibid. (1409 a) p. 462

١٠٥. ibid (1410 a) p. 468

١٠٦. CICER: orator. p. 182

١٠٧. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – ص ٢٣١ وما بعدها.

١٠٨. cicer: orator. p. 144

١٠٩. أرسطو الخطابة – عبد الرحمن بدوي – (١٤١٣ ب) ص. ٢٣١

١١٠. cicer: orator. p. 142

١١١. Aristote: Rhétorique. Trad. p. chiron. p. 426

١١٢. ibid. p. 426. (1403 a)

١١٣. عرفت نظرية الإنزياح لحظة مجدها خلال المتينات من القرن الماضي، حيث ضخم الإنزياح حتى جعلوه يعني الخطابة، فحصر علماء الخطابة في هذه الفتره خاصة جون كوهون، ورولان بارت، وجماعة مو، الخطابة في دراسة التصويرات الإسلوبية، التي عرفوها بانها انزياح بالنسبة إلى الضابط (المعنى الحقيقي أو الأصلي) وهكذا اختزلوا الخطابة في التصويرات التي ليست تشكل إلا جزءاً من جزء من أجزاء الخطابة أنظر /

Olivier Roboul: Introduction à la rhétorique p.94

١١٤. Aristote: Rhétorique. trad. p. chiron. p. 427 (1404 a)

١١٥. ibid. p. 427

١١٦. ibid – p. 427

١١٧. لاشك أن أرسطو كان في هذه الفقرة متأثراً إلى حد كبير بنظرية المحاكاة الطبيعية عند أفلاطون، وهي نظرية وضعها لتفسير أصل اللغة وإطلاق الأسماء، وأوردها في محاور خاصة هي محاور كراتيليوس « وترى هذه النظرية، أن أصل وضع الأسماء كان عن طريق محاكاه هذه الأسماء لمسمياتها من خلال الحروف والمقاطع، فالحروف لها خصائص طبيعية وللأشياء خصائص طبيعية، والمشرعون وواضعوا الأسماء الاوائل اختاروا حروفاً ومقاطع لتدل على الأشياء المختلفة، مراعين أن تكون طبيعة هذه الحروف والمقاطع المختارة لتسمية شيء من الأشياء محاكية لطبيعة هذا الشيء الذي تسمية ودالة على طبيعته، أنظر – ص ٩٧ / محمود ايوب الشناوي / فلسفة اللغة عند افلاطون وأصولها البني فلاسفة اليونان السابقين عليه – الدار الحديثة للطبع والنشر القاهرة – ٢٠٠٨

١١٨. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي – ص١٩٤

١١٩. المصدر السابق – ص١٩٥

١٢٠. Ch. perelman et I. olbrechts – Tyteca: logique et Rhétorique. p. 30

١٢١. olivier Reboul: Introduction à la Rhétorique. p. 83

١٢٢. ibid p. 84

١٢٣. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي (١٤١٤ ب) ص ٢٣٥

١٢٤. oliver Reboul: introduction à la Rhétorique. p. 86

١٢٥. Aristote: Rhétorique, trad. p. chiron. (1416 A) P. 502

١٢٦. Ibid. (1416b) p.505

١٢٧. ibid. (1419). p. 513

١٢٨. أرسطو: الخطابة – ترجمة – عبد الرحمن بدوي. (١٤٩ ب) ص٢٥٥